

فتحي العشري

مفكرون.. لكل العصور



الدار المصرية اللبنانية

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://www.facebook.com/books4all.net>

فتحى العشرى

مفكرون.. لكل العصور

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م



طباعة • نشر • توزيع

الدار المصرية اللبنانية

١٦ شارع عبد الخالق شريت - تليفون ٣٩٢٢٥٢٥ - ٣٩٢٦٧٤٣ برفها دار شافو - ص. ب. ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIYAH AL-LUBNANIYAH PRINTING-PUBLISHING-DISTRIBUTION
16 ABD EL KHALEK SARWAT st p. Box 2022- CAIRO- EGYPT PHONE: 3926743-3925525 CABLE: DARSHADO



مفكرون.. لكل العصور

إلى الصحفي اللامع
والزميل الموضوعي
محمد زايد
صاحب فكرة هذا الكتاب
فتحى العشرى

تقديم

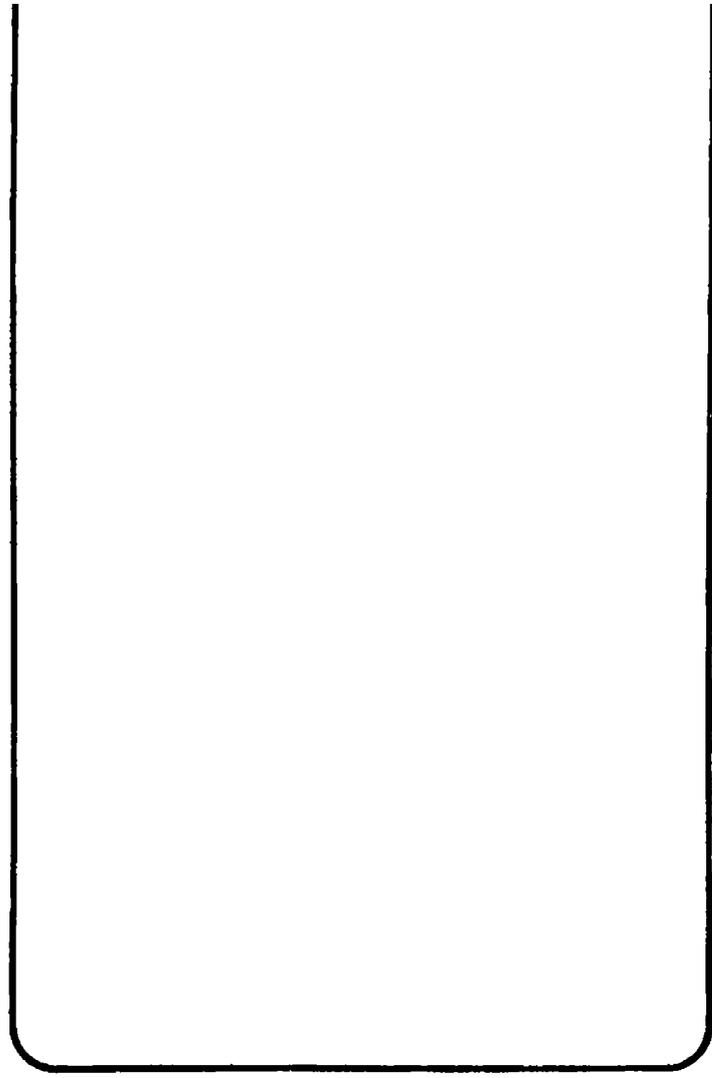
هذا الكتاب الصغير حجماً ، الكبير من حيث المحتوى ، هو محاولة جادة وخالصة للتعريف بحركة الفكر الإنساني وتياراته المختلفة عبر التاريخ ، تعريفاً سريعاً وليس متسرعاً ، بسيطاً وإن كان دقيقاً ، محيطاً وإن جاء مكثفاً .

وهو إذ يستهدف إنزال « الفلسفة » من برجها العاجي وتقريبها من « الناس » يعمد إلى الاختيار ويستند على التركيز ، مواكبة لروح العصر ونبضه وإيقاعه ، مراعاة لطاقة القارئ المعاصر « وقدرته واحتماله ، دون الدخول في تفصيلات ، أو الوقوع في متاهات ، أو الانزلاق في تهويمات ، قد تُعقِّد ما يمكن شرحه بسهولة ، وتُعوق ما يمكن استيعابه يُيسر ..

أما « الاختيار » فلا يعنى « التفضيل » ، فهو اختيار مؤقت قائم على التنويع والتصنيف ، تمهيداً لتقديم « موسوعة مصغرة » شاملة وكاملة بقدر المستطاع فى المرحلة أو المراحل التالية ..

وعلى هذا فقد وضع فى الاعتبار إضافة ثلاثين من أبرز المفكرين ، بدءاً بسقراط وأرسطو وأفلاطون من اليونان القديمة ، والكندى والفارابى وابن سينا والغزالى وابن رشد من مفكرى الإسلام ، وانتهاء بمكيا فى من الإيطاليين ، ومونتاني وكونت مونتسكيو وديدرو وفولتير وسارتر من الفرنسيين ، وكانط وهيدجر وكيركجارد من الألمان ، وبيكون ولوك وباركلى من الإنجليز ، وديوى وماركيوز من الأمريكان وأونا مونو من الأسبان .. دون أن يقلل ذلك من شأن وقيمة وريادة المفكرين الآخرين الذين قد تتاح الفرصة للتعريف بدورهم الفعال ، وتناول فكرهم المؤثر فى إنسان زمانهم وإنسان هذا الزمان .. لتستمر الحياة ويتقد الفكر وتبقى الكلمة !

فتحى العشرى



الله في الفكر الغربي

الله فى الفكر الغربى

من عصر النهضة إلى قرنا العشرىن ، فكَّر فى الله - عَزَّ وَجَلَّ - عشراتُ الفلاسفة ، آمن به أكثرهم ، وأصيب البعض - برغم علمهم - بعماء البصيرة فألحدوا .. ونختار هنا - لضيق المساحة - عشرة فلاسفة على حسب الترتيب الزمنى من فرنسا ، وإيطاليا ، وإنجلترا ، وأمريكا ، ممن قدموا بالمنطق الحدسى والعقلى والعلمى الدلائل والبراهىن على وجود الله ووحدانىته وعظمته سبحانه .

ميشيل دى مونتاني (١٥٣٣ - ١٥٩٢) : مفكر فرنسى عبر بالأدب عن فكرة الشك كطريق إلى اليقين ، وكتب « مقالات » تندد بالنزعة السائدة التى تمجد قدرة العقل على معرفة الوجود ، لأن العقل قوقعة داخل النفس الإنسانىة ، ولذلك فإن اليقين هبة من الله .. أما الملاحح الإلهىة

فإن ما يميزها أو يدركها هو الحدس أو الإحساس الإنساني بعيداً عن التصور العقلي القاصر في هذا المجال .. وهكذا يعارض « مونتاني » الأرثوذكس في ثقتهم المطلقة بالعقل العارف بالله ، وأتباع « أرسطو » في ثقتهم المطلقة بالإنكار ..

جيوردانو برونو (١٥٤٨ - ١٦٠٠) : راهب دومينيكي ، ترك الرهبنة وهاجم الكنيسة الكاثوليكية وهجر وطنه إيطاليا ، وعندما عاد اعتقل ثم أعدم حرقاً بتهمة الإلحاد .. ومع هذا كان « برونو » مؤمناً بالله عن طريق العقل والإيمان الطبيعي وليس عن طريق العقيدة والوحي .. فهو يرى أن الله والطبيعة الجوهرية شيء واحد ، وأن الله يتجلى في الطبيعة ، وهو الواحد الأبدى الذي يخرج منه الوجود اللامتناهى .. على هذا الأساس العقلي عرف « برونو » الله واعترف به دون حاجة إلى الإيمان الذي يفترض عدم قدرة العقل على معرفة الله .

فرنسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦) : مفكر إنجليزي أقام ثنائية بين العلوم الطبيعية والوحي الإلهي ، وميز بين كلماته لله (الكتاب المقدس) وأعماله (الطبيعة) وإمكانية التنوير المشترك بينهما بعد أن تعذر إدراك كل منهما بمنطق الآخر ، على عكس اللاهوتيين الذين يقولون باكتشاف حقائق الوجود بالعقل والوحي معاً ، ومنها أن الله خلق الكل

تبعاً لخطة منظمة ، وأنه وجهها جميعاً نحو الكمال وأحاطها بعنايته .

رينيه ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠) : مفكر فرنسي
توصل من خلال « تأملاته » في الكون والإنسان إلى اليقين ،
الذي يؤكد علم الطبيعة تأكيداً مؤداه أن لا وجود من
عدم ، ولا موجود إلى عدم ، وبما أن الإنسان موجود لا يمكن
أن يفنى ولاحتى بفعل الموت ، أما الخالق فهو كائن كامل
قادر أزلي لا متناهي ، لأنه أصل الوجود وسببه ، وما الإنسان
إلا صورة مصغرة منه ، ومحدودة القدرة بالنسبة له ..
ويشرح « ديكارت » بمنهجه الذي يبدأ من الشك لينتهي إلى
اليقين حقيقة الوجود ، فيرى أن الله قد خلق العالم خلقاً
مستمراً ولم يخلقه على مراحل ، وقد خلقه على صورته الأزلية
منذ كانت وإلى ما ستكون .

بلاز بسكال (١٦٢٣ - ١٦٦٢) : مفكر فرنسي
دافع عن الدين ، ودعا إلى الإيمان في « خواطره » من منطلق
اليقين الرياضي ، مبيناً أن العدالة الإلهية يمكن تأكيدها
بالاستدلال الرياضي ، وبهذا الاستدلال نفسه يمكن التيقن من
أن كل شيء من صنع الله وحده ، وأن الإنسان أثر من آثار
الله ودليل على وجوده وإرادته وخلوده .. فإذا كان الإنسان

هو مصدر النزعة إلى السعادة فإن الله هو غايتها ، وإذا كان الإنسان يتطلع إلى الأبدية فإنما يتشبه بالإله الأبدى .

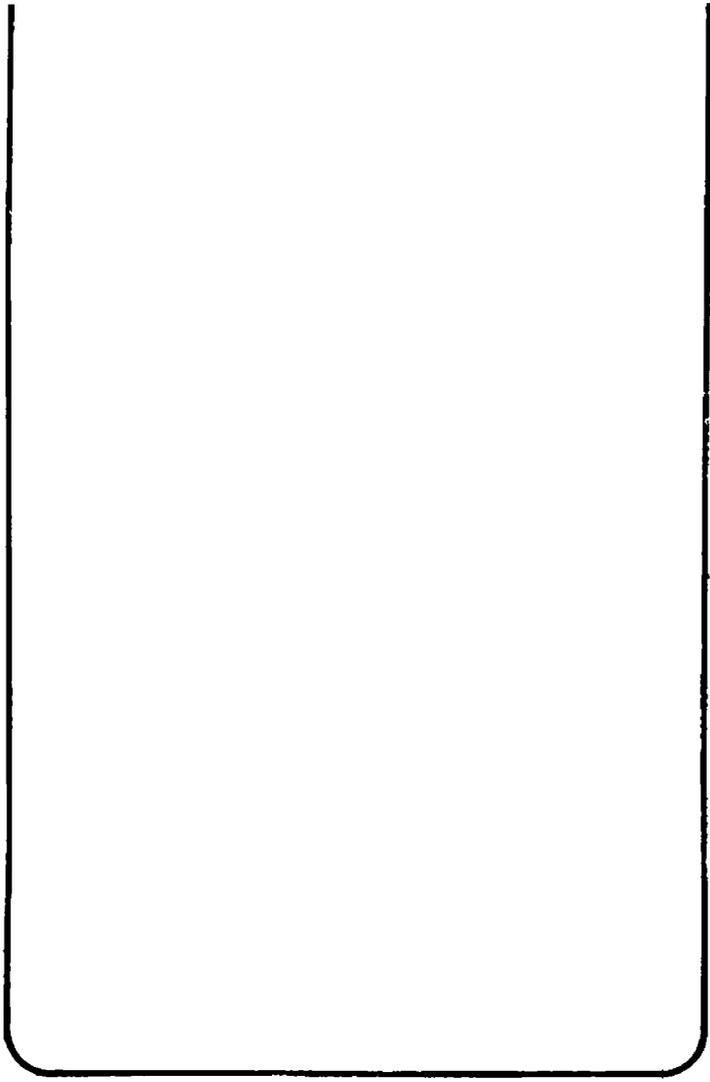
كريستيان فولف (١٦٧٩ - ١٧٥٤) : مفكر ألماني دعا إلى تزاوج المعارف الثلاث ، التاريخية والفلسفية والرياضية ، لمعرفة الله والوجود والإنسان ، مروراً بالشك ، وعبوراً إلى التجريب ، واستقراراً عند العقل . كما وفق في ثنائته الجذرية - أو الجوهرية - بين اليقين التجريبي العقلي واليقين الفلسفي الرياضي .. وقد عمل « فولف » على إثبات وجود الله بالفكر المجرد والدليل المادى ، أو بفكرة الكائن الأكمل ، وبدليل أن الله هو سبب الوجود بما في ذلك ذاته العليا المتعالية .

مارى آروويه فرنسوا فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) : مفكر فرنسى قاد حملة التسليم الفلسفى بالله ، دعم مذهبه فى الألوهية بالاستناد إلى العلم ، وخاصة نظرية « نيوتن » عن العلة الأولى ، والتي ترى فى نظام الجاذبية والحركة المنتظمة واتجاه الكواكب والنجوم المتجانس دليلاً على وجود إرادة أسمى ، وذكاء أعلى ، خلقت كل شئ ورثته فى حرية ، ومع هذا سمح فولتير للعقل بأن يرى الله فى الطبيعة وفى الإنسان ، على العكس من « بسكال » .

إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) : مفكر ألماني أعلن أنه لا يملك دليلاً قاطعاً على وجود الله ، ولكنه اعترف بوجوده ، واعتبره بديهية أخلاقية .. واستبعد قانون أو مبدأ المصادفة في نشأة الكون ، ذلك أن القوى المادية ذاتها تقوم على علة أولى هي الله ، برغم أن هذه القوى - بل الوجود كله - لا يفضي إلى الله ، لأن الله هو الواحد الذي لا يسبقه أحد ، وهو الأزلي والأبد .

ج . ف . هيغل (١٧٧٠ - ١٨٣١) : نقل الفلسفة الألمانية من عصر التنوير إلى المثالية التي سادت أوروبا وأمريكا .. وعرف هيغل لأول مرة الله فلسفياً ودينياً واجتماعياً من خلال نظريته في المطلق .. فهو يرفض البرهان على وجود الله إذا كان مصدره الحاجة إلى قوة خارجية ، لأن وجود الله مطلق غير مرهون .

وليم جيمس (١٨٤٠ - ١٩١٠) : مفكر أمريكي درس الطب والفسولوجيا ، وحاول أن يوفق بين النزعة الذرية والآلية في عصر التطور الذي نعيشه ، وبين المعتقدات الدينية والأخلاقية التي سبقه إليها أسلافه من الفلاسفة ، في إطار « البراجماتية » كمذهب نفعي ، لا يعارض في الإيمان بإله مُتَنَاهٍ خَيْرٍ .. وهو إله لا يحجب الحرية عن مخلوقاته ، وبالذات الإنسان ، صورته المثلى .



الله في الفكر الإسلامى

الله في الفكر الإسلامي

مثلما اخترنا عشرة من فلاسفة الغرب ، ممن قدموا بالمنطق الحَدسي والعقلي والعلمي الدلائل والبراهين على وجود الله ووحدانيته وعظمته سبحانه ، نختار عشرة من فلاسفة المسلمين الذين آمنوا بالله وبرسوله ، عليه صلوات الله وسلامه .

أبو يوسف الكِنْدِي (٨٠١ - ٨٦٥) : مفكر عراقي ، اجتهد في التوفيق بين النبوة والعقل ، وقارن بين الديانات حتى أثبت أنها تدعو جميعا إلى الاقتناع بأن الوجود مصدره العلة الأولى الواحدة الأزلية ، أي الله .. هذا الوجود مخلوق لله ، لأن الأعلى يؤثر فيما دونه ، أما المعلول فلا يؤثر في العلة ، لأنها أرق منه في مرتبة الوجود .. والله هو العقل الأول ، وهو علة كل معقول في الوجود .. ومعنى هذا أن كل ما نعرفه عن الموجودات هبة من الله ، وما عَلِمَ الإنسان إلا فَيْضٌ من الله .

أبو نصر الفارابي (٨٧٠ - ٩٥٠) : مفكر تركي ،
ذهب إلى أن كل موجود واجب الوجود ، والله أزل ، لأنه
موجود لا يعتريه التغير ، هو عقل ، وخير ، ومعقول ، وعقل
محض ، وهو البرهان على جميع الأشياء ، وهو العلة الأولى
لسائر الموجودات .. لذلك هو واحد لا شريك له ، يصدر منه
العالم منذ الأزل ، وعنه يفيض منذ الأزل وجودًا ثانٍ ، هو
العقل الأول الذي يحرك الفلك الأكبر .. أما الإنسان
فلا يحصل المعرفة باجتهاده ، بل تجيء إليه المعرفة هبة من الله ،
ذلك أن الله عقل قبل أن يكون إرادة ، والخلق إنما يجيء نتيجة
لتعقل الله لذاته .

أبو علي ، ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٦) : مفكر
بخاري ، قال بفكرة الوجدانية حيث يتوحد في ذات الله
الوجود والماهية ، ذلك أن الماهية في جميع الكائنات المخلوقة
منفصلة عن الوجود الذي ليس سوى عَرَض من الأعراض ..
وبما أن الله هو العلة الأولى التي لا علة لها ، فإنه يكون هو
الخالق بالضرورة ، وبالضرورة تجيء الخليفة نتيجة لوجود الله
من حيث هو وحدة مطلقة تندمج فيها المعرفة والإرادة
والقدرة .. وككل الصوفيين يصل « ابن سينا » إلى الاتحاد
العقلي مع الله عن طريق الإدراك الحدسي ، ويسلم للنبي
بمعرفة حدسية تلقائية تضعه في مرتبة أعلى من البشر أجمعين .

أبو حامد الغزالي (١٠٥٩ - ١١١١) : مفكر
فارسي أخذ بآراء المتصوفة ، وأعلن أنه أدرك بالحدس الداخلى
المباشر أن الله قد خلق الإنسان على صورته ، وعلى هذا
يستطيع أن يقيس قدرة الله فى الخلق على قدرة الإنسان فى
الفعل الإرادى الصادر عن إرادة حرة . ولا يجوز قياس خلق
الله للكون على العلاقة السببية فى ظواهر الطبيعة ، لأن الله إذا
أشبه الإنسان فهو لا يشبه الطبيعة .. فالله هو الموجود القادر
على كل شىء وهو المرید الفعال .

أبو الوليد ، ابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨) : مفكر
أندلسى وجد أن الكتاب المنزل يتضمن الحقيقة الكاملة ،
وينبغى التسليم بآياته بمعناها الحرفى ، باعتبارها الحقيقة الدينية
التي تستعصى على العقل البشرى لأنها من عند الله ، وعلى
هذه الأسس تمتاز الشريعة على القانون الدنيوى ، ذلك أن هذا
القانون يعنى بسعادة الصفوة وحدها ، أما الشريعة فتضمن
لكل مؤمن نصيبه من السعادة . ويساير « ابن رشد » التفسير
التقليدى للنبوة ، مؤكداً على ما فى شخصية محمد (عليه
السلام) من امتياز وتفوق ، باعتباره المشرع المرسل من
قِبَلِ الله سبحانه وتعالى .

محمد إقبال (١٨٧٣ - ١٩٣٨) : مفكر باكستانى ،
استطاع أن يقيم العلاقة بين الله والإنسان ، فإذا كانت ذات
الله هى الذات الكاملة التي لاتشبهها ذات أخرى على

الإطلاق ، كان المثل الأعلى أمام الإنسان هو أن يتخلَّق بأخلاق الله ، وأن يسود الأرض التي سخرها له الله ، لأنه خليفة الله في الأرض .. وعلى ذلك فالإنسان تكمل ذاته أو تنقص بمقدار قربه أو بعده عن ذات الله . ويعارض « إقبال » الذين يدَّعون أن عالم المادة وهم باطل ، ويؤيد الذين يرون في العالم مظهرًا لجمال الله ، وحكمة الله ، وإرادة الله .

عباس العقاد (١٨٨٩ - ١٩٦٤) : مفكر مصرى ،
الله عنده ذات واعية ، لأن الوعي سابق على العقل محيط به ..
أما الوعي الكونى المركب فى طبيعة الإنسان فهو مصدر الإنسان ، وهو مصدر الإيمان بوجود الحقيقة الكبرى التى تحيط بكل موجود .. وما العقيدة إلا همزة الوصل بين الكون والإنسان من ناحية ، وبين الكون وجميع الموجودات من ناحية أخرى .. على أن الذات الإلهية لاتوصف بصفات ، لأنها فوق كل الصفات ، وإنما هى « كمال مطلق » لا يحيط به العقل المحدود .. والإيمان بالوعي والحس والبديهة والعقل إيمان رشيد ، وهو خير تفسير لسر الخليقة .

أحمد زكى (١٨٩٤ - ١٩٧٥) : مفكر مصرى ،
وجد أن طريق العلم هو طريق الإيمان بالله ، فقد أخذ يبحث فى ظاهرة الكون مستهدفاً الكشف عن بعض جوانب الله ، بحثاً مجملًا لا مفصلاً ، حتى يضع يده على الحقائق التى تثير العقل ، فيفهم بحيث يؤدي هذا الفهم إلى إدراك ما فى الكون

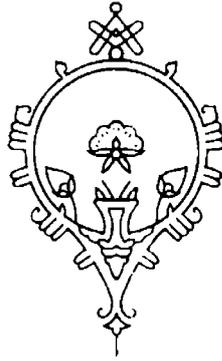
من تنظيم وتنسيق وراءهما عقل مدبر ، ثم إدراك الأسلوب الواحد الذى يجرى عليه هذا النظام ، وهذا النسق .. بهذا الفهم العقلى الممتزج بمعرفة القلب تؤمن بوحدة الوجود التى لاتهم تسميتها ، وإن اصطالحنا على اسم « الله » .

مصطفى محمود : مفكر مصرى يرى أن تَحْطَى حدود العقل عند الصوفية ليس معناه إهدار العقل ، وإنما الاستفادة منه إلى آخر مدى ، ذلك أن المؤمن لا يرى الله بعينه ولا بقلبه ولا بروحه ، ولكنه يرى الله بنور الله ، ويحاول أن يتخلق بأخلاقه ، وأن يتحلى بأسمائه الحسنى ، وأن يتقرب منه وله بالصفات لا بالمكان ، وبالتفانى لا بالتمنى ، عندئذ يستطيع الفائز فى هذا الجهاد الأكبر أن يرتفع بنفسه إلى مستوى الملائ الأعلى بعد أن يتخطى العالم المادى ، متخطياً نفسه وحدود عقله ، فلا إله إلا الله ..

أحمد بهجت : مفكر مصرى ، يتخذ من آيات القرآن الكريم ركيزة محورية لتصوير ذات الله ، ولكنه يمزج بين الوجدان والعقل فى معادلة قادرة على أن تقنع ، وتشبع طموحاً فى الخروج برسالة معاصرة فى التوحيد .. ويأخذ برأى أهل السلف والسنة فى عدم تقييد الذات الإلهية بأى صفة من الصفات ، فهو تعالى ، ليس كمثلته شئ ، تماماً كما أراد المعتزلة ، إمعاناً فى تنزيه الله ، أن يسلبوا الصفات عن ذاته

الإلهية .. ويرى أن الإيمان بعد معرفة هو أوثق إيمان ، مع أنه
لا هداية إلا به « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ » .

وَيَبْقَى أَنْ نَفْصِلَ مَا أَجْمَلْنَاهُ - غَرِيبًا وَإِسْلَامِيًّا - وَنُضِيفَ
أَيْضًا فِي مَنَاسِبَةٍ أُخْرَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ .





ابن خلدون
وفلسفة الذات

١٤٠٦ - ١٣٣٢

ابن خلدون وفلسفة الذات (١٣٣٢ - ١٤٠٦)

المفكر العربي « أبو زيد عبد الرحمن محمد بن خلدون » ولد بتونس في السابع والعشرين من مايو عام ١٣٣٢ وإن كان من أصل حضرمي . وتوفي في السادس عشر من مارس عام ١٤٠٦ . حفظ « ابن خلدون » القرآن وجوّده في صباه ، ثم تتلمذ على والده وعدد من علماء الفقه ، ولكن مرض الطاعون عاقه وهو في الثامنة عشرة عن استكمال دراسته ، كما ضاق لهجرة علماء تونس إلى المغرب الأقصى هرباً من هذا الطاعون الجارف ، فاتجه إلى تولى الوظائف العامة ، وعُيِّن « كاتباً للعلامة » في عهد « ابن تافراكين » ولما فر إلى المغرب عينه السلطان أبو عنان عضواً في مجلس « فاس » العلمي ، فعاود دراسة الدين والأدب وتفرغ لهما . ونتيجة للتقلبات

السياسية سُجن « ابن خلدون » عامين ، ثم أطلق سراحه ليتولى وظيفة « خطة المظالم » في عهد السلطان أبو سالم ، وقد أداها بعدالة وكفاية ، ورحل إلى « غرناطة » وعمل سفيراً لها بإشبيلية . فاستقرت أحواله المالية والاجتماعية مع زوجته وأولاده ، وعندما استرد « السلطان الحفصي » عرش تونس استدعى ابن خلدون وعينه في منصب « الحجابة » أو رئاسة الوزراء . وضاق بالمناصب ففرغ من جديد للتدريس والكتابة بعد أن عاد مرة أخرى إلى غرناطة .

وجاء « ابن خلدون » إلى القاهرة عام ١٣٨٢ فعمل بالأزهر ، ثم عُين في منصب قاضي قضاة المالكية ، وصُدِمَ في مصرع زوجته وأولاده وهم في السفينة القادمة إلى الإسكندرية ، وانقطع لاستكمال مؤلفاته حتى تُوفى بالقاهرة ودُفن بها .

ولمقدمة ابن خلدون قيمة عظيمة لدى علماء الاجتماع وغيرهم ، وهي ليست غير مجلد واحد من مجلدات « كتاب العبر » ، السبعة ، ولكنها تُعدُّ من أهم آثاره وأشهرها ، فهي تحتوي على مضمون علم الاجتماع الذي وضعه ، وسبق في إنشائه علماء الاجتماع كافةً ، كما تحتوي على تجديده لعلم التاريخ ، وعلم النفس التربوي ، والفقهاء المالكي ، فقد فسّر الظواهر الاجتماعية وقتئذٍ ، وعرّف العمران البشري والعمران البدوي ، ونظم الحكم ، ونشأة المدن ، والتجمع الإنساني ،

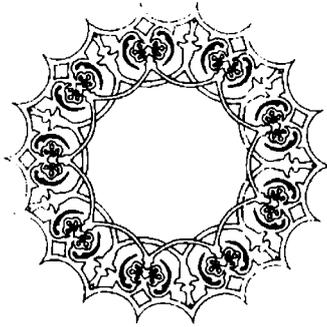
ووجوه العيش والحرف والمهن ، والأحوال الشخصية ،
والظواهر الاجتماعية بشكل عام ، وربط بين الفرد والمجتمع ،
وبين الواقع والبيئة ، ووضع أسس النقد التاريخي ، كما يقرر
ذلك المؤرخ الإنجليزي « هيرتسو » الذي يعترف بأن
ابن خلدون هو مجدد علم التاريخ بمنهجه العلمي الحديث ،
الذي يبحث في وقائع الزمان ، وتوضيح فكرة الزمان
والمكان ، وصلة الإنسان بهما ، ثم كتابة « تاريخ التاريخ »
بحيث يحمل الواقعة من إطارها الجزئي إلى إطارها الكلي ، ومن
غمار الواقعة في ذاتها إلى الواقعة في إطار الزمان والمكان ،
حيث تحكم مسيرة الإنسان من صنعه ، ولكنها فوق طاقته
وإدراكه .

والمؤرخ الفذ هو من ينفذ ببصيرته إلى جوهر التاريخ ، كما
فعل « ابن خلدون » ، ففاق أرسطو وأفلاطون وسان
أوغسطين في هذا المجال ، وحق له أن يكون ظاهرة سابقة
لعصرها ، وهذا ما دعا عميد الأدب العربي الدكتور طه
حسين إلى تحضير رسالته عام ١٩١٧ في باريس عن منهج ابن
خلدون ، حيث قارن بينه وبين الفيلسوف « ديكارت » . كما
تقدم عميد آداب السوربون « جورج داني » عام ١٩٤٩
برسالة متميزة عن ابن خلدون « واضع علم الاجتماع ومجدد
علم التاريخ » . أما الفيلسوف المعاصر « روجيه جارودي »

فقد أكد أنه أبقى من « مونتسيكو » فكراً وفلسفة ، برغم التشابه الكبير بين العالمين الفذين .

وفضلاً عن علوم الاجتماع والتاريخ والنفوس ، برز « ابن خلدون » في تجديد أسلوب الكتابة العربية ومفردات اللغة ، وفي تجديد « فن الأوتويو جرافيا » أو ترجمة المؤلف لحياته ، وفي التفقه في علوم الحديث والفقہ المالکی .

والغريب حقاً أن عبقرية « ابن خلدون » المبكرة لم يعق نموها وتآلقها وازدهارها اضطراباً حياته الشخصية والأسرية .





ديكارت
وفلسفة الشك

١٦٥٠ - ١٥٩٦

ديكارت وفلسفة الشك (١٥٩٦ - ١٦٥٠)

في آخر مارس عام ١٥٩٦ ولد رينيه ديكارت بفرنسا لأب كان يعمل بالسلك القضائي ، وأمُّ تُوفيت بعد مولده بسنة واحدة .. درس الأدب والعلوم الرياضية والقانون وتفسير الأحلام ، ولكنه اهتم أكثر بالفلسفة ، وكانت له آراء فلسفية عميقة في الوجود كله بصفة عامة ، والوجود الإنساني بصفة خاصة خلال رحلته الفكرية الطويلة المتوسطة العمر (توفي في ١١ فبراير ١٦٥٠) من الشك إلى اليقين ، ومن النفس إلى الله ، ومن الله إلى العالم ، مستهدفاً الإنسان دائماً ، والمنهج والعلم ، وما وراء العلم .

أبرز كتب « ديكارت » عنوانه « المقال عن المنهج » .
والمنهج الديكارتي هو أصل المعرفة ، أما جوهر المنهج ففي

التحليل والتركيب ، أى التبسيط والترتيب ، والاستدلال أو الاستنتاج المتعلق بالبصيرة والتهيو .. أما البصيرة فتصدر عن عقل متحرر من سلطان الحس والخيال والمعارف السابقة مهما كانت يقينية ، وأما التهيو فيتم بتجنب السرعة والتهور والتحلى بالصبر والأناة .. المنهج إذن هو أساس العلم ، وبالتحديد علم الطبيعة والهندسة التحليلية .

« أنا أفكر إذن أنا موجود » تلك هى الحقيقة التى توصل إليها « ديكارت » بعد « تأملاته » فى الكون والإنسان سالكاً طريق الشك ، الشك فى كل شئ ، لكى يبدأ من الصفر أو اللاشئ لينتهى إلى اليقين ، اليقين الذى يقرره علم الطبيعة ، حيث لاوجود من عدم ، ولا موجود إلى عدم .. فالإنسان - ككل شئ - موجود ، أوجده الخالق ، ولأنه وجد فلا يمكن أن يفنى حتى بالموت ، أو برغم الموت ، فالجوهر هو أصل الوجود ، والجوهر لايفنى .. أما الخالق فهو الله ، الكائن الكامل الأزلي ، اللامتناهى القادر ، وهو أصل الوجود وسبب الوجود معاً .

الله إذن خير ، وطالما أنه خير فلايمكن أن تدعو أفعاله إلى الشك ، مثلما تدعو إلى ذلك أفعال الشيطان ، وإن كان هو الآخر - شأنه شأن كل شئ فى الوجود - من خلق الله . وهكذا يوسع « ديكارت » من دائرة استخدامه للتفكير ،

فالشئ الذى يفكر هو الذى يشك ويفهم ويتصور ويؤكد وينكر ويريد ويتخيل ويشعر .. فإذا توقفنا عند « الشعور » وجدنا أنه شكل من أشكال التفكير ، كما يحدث فى الأحلام ، ذلك أن التفكير الذى هو ماهية الذهن ، يجعل الذهن فى حاجة إلى أن يفكر دائماً ، حتى أثناء النوم العميق ، وحتى لو لم تكن أفكاراً إرادية تماماً .

وفيما عدا ذلك يقسم « ديكارت » الأفكار - التى تشمل إدراكات الحواس - إلى ثلاثة أنواع مختلفة :

١ - الأفكار الفِطْرِيَّة .

٢ - الأفكار المُكْتَسَبَة .

٣ - الأفكار المُبْتَكَّرَة .

وبرغم مخالفة « ديكارت » لفلسفة « أرسطو » فإنه قد استعان بمنطقه .. فهو يؤمن بأن الإنسان المخلوق هو صورة الله الخالق ، وبما أن الله قادر فإن الإنسان قادر أيضاً ، وإن كانت قدرته محدودة بالنسبة لقدرة الله المطلقة .. وهو على هذا يملك قدرة الإدراك والتصور ، كما يملك القدرة على القبول والرفض .. يدرك الكون أو العالم ويتصوره ، ويقبل الظواهر الطبيعية أو يرفضها .. فالله قد خلق العالم خلقاً مستمراً ولم يخلقه شيئاً فشيئاً ، بل خلقه على الصورة الأزلية ، بما فى ذلك ما كان وما سيكون .

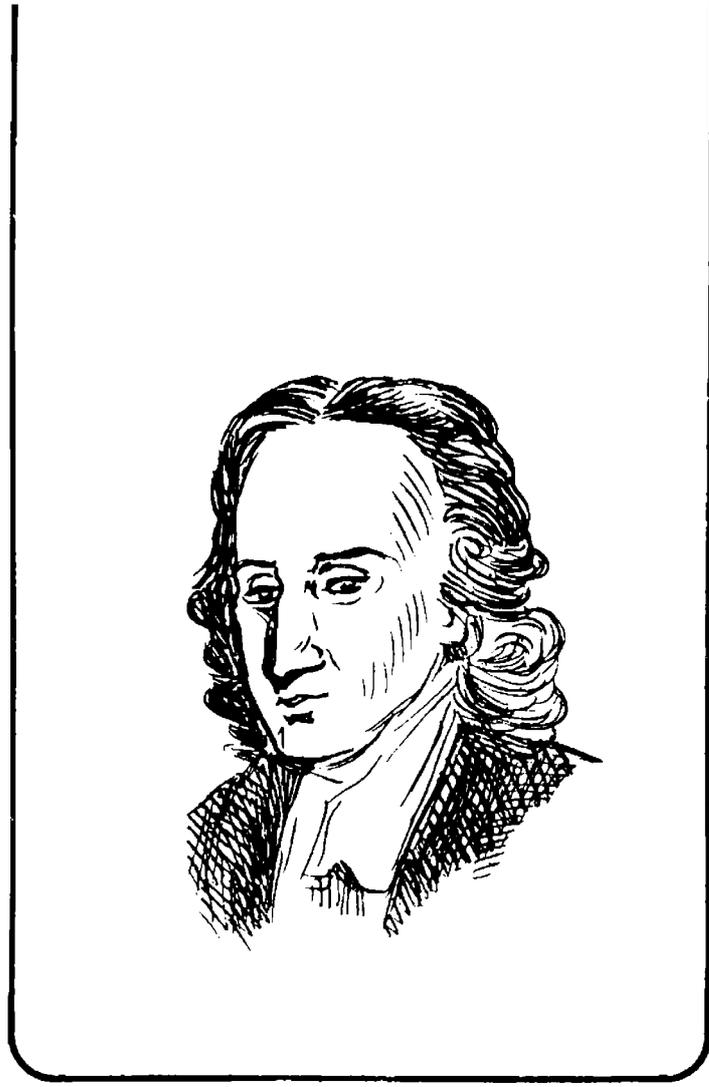
الإنسان نفس وجسم ، فإذا كان الجسم يعيش بالغذاء

ويستقيم بالوقاية أو بالعلاج فإن النفس تعيش بالانفعال ..
والانفعالات الرئيسية ستة : التعجب ، والحب ، والبغض ،
والفرح ، والحزن ، والرغبة .

وعلم الأخلاق يستهدف السيادة على الانفعالات أو
التحكم فيها بحيث يمكن النفس أن تميز بين ما ينبغي وما لا
ينبغي ، وبحيث تُمنح بقدر وتُمنع بقدر ، وبقدر الإرادة
المتوفرة والحرية المتاحة ، تحقيقاً لاتحاد النفس بالجسم ،
وتحقيقاً للسعادة في نهاية الأمر ، وهذا ما شرحه « ديكارت »
في كتابه « انفعالات النفس » .

ومع هذا كله لم يجد « ديكارت » مفراً من الإذعان لقضاء
الله .. وقد كان مؤمناً بذلك ، راضياً به ، سعيداً له .





بِسْكَال
وفلسفة العلم

١٦٦٢ - ١٦٤٣

بسكال وفلسفة العلم (١٦٦٢ - ١٦٦٣)

ولد « بلازايين بسكال » في التاسع عشر من يونية عام ١٦٦٣ بوسط فرنسا ، لأب قاض وأم بورتوازية .. وانتقلت الأسرة إلى باريس حيث تتلمذ « بلاز » على والده وهو بعد في الثامنة من عمره ، وإن علم نفسه بنفسه — دون أن يلتحق بمدارس — بادئاً باللغات ، وخاصة اليونانية واللاتينية ، ثم الرياضيات التي تفوق في كشف أسرارها ورموزها ، حتى أنه توصل — وهو بعد في الحادية عشرة — إلى تفسير لطبيعة الأصوات .. واهتم بدراسة الفلسفة والأخلاق وعلم النفس وهو بعد في الرابعة عشرة .. وعندما بلغ السادسة عشرة كان قد نبغ في الهندسة ووضع مقاله « في

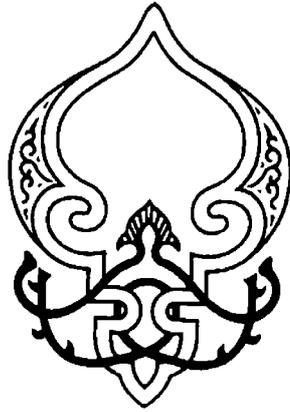
المخروطات « مخالفاً به منهج « ديكارت » الذى استنكر
جسارة « بسكال » وأنكر عبقريته المبكرة التى لم تمتد طويلاً ،
فقد توفى فى الثامن عشر من أغسطس عام ١٦٦٢ قبل أن يبلغ
الأربعين ..

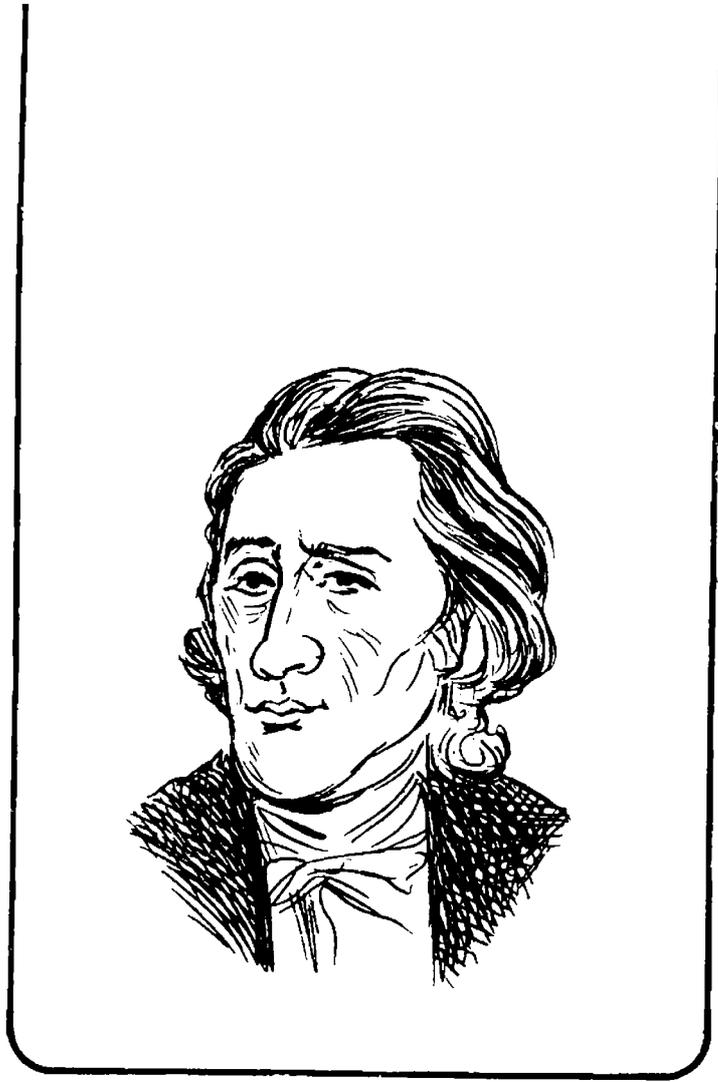
فإذا كان « ديكارت » قد سعى إلى علم يجعل من الإنسان
سيداً على الطبيعة ومسخرًا لها فإن « بسكال » قد نجح فى
تحويل العلم إلى آلة ، لأن الإنسان - فى تقديره - آلة بقدر ما
هو عقل .. ولذلك اكتشف « بسكال » الآلة الحسائية ، وإن
جاءت على عيوبها - وبعد كل هذه السنوات - فتحاً لعالم
« الآلات الحاسبة » ، كذلك اكتشف « المثلث الحسابى »
الذى يربط بين الحساب والهندسة .. أما فى « علم الطبيعة »
فقد عنى « بسكال » بالتجريب والتطبيق ، وخرج بدراسات
متميزة عن ثقل الهواء وتوازن السوائل و« الخلاء » مركزاً
دائمًا على « ظاهرة الضغط الجوى » أو « الظاهرة
البارومترية » .. كذلك ربط بين مبدأ توازن السوائل ومبدأ
القوى الميكانيكية وصَلَّتْهَا بالمسافات .

شكلت « خواطر » بسكال التى أخذ يُدوِّنُها خلال
سنوات مرضه الأخيرة - والتى ظهرت فى كتاب بعد وفاته

عن تسعة وثلاثين عاماً في أغسطس عام ١٦٦٢ - دفاعاً عن الدين ، ودعوة للإيمان ، من منطلق اليقين الرياضى والعدالة الإلهية ، والمحبة الصوفية ، بعد أن قسم العظمة إلى مراتب ثلاث : عظمة المادة ، كما عند الملوك والقادة ، وعظمة الحس والعقل كما عند الفلاسفة والعلماء ، وعظمة الحب والبصيرة ، كما عند القديسين والأولياء .. وكان « بسكال » قد اتصل بجماعة « بور رويال » وفلاسفتها : « سان سيران » ، و« جاتسنيوس » و« أرنو » واعتنق مبادئ هذه الجماعة ، وعمل على نشرها والتنظير لها في « الخطابات الريفية » ، وأبرزها « أن الدنيا رمز للآخرة ، وأن الحياة رمز للروح ، وأن كل شيء من صنع الله وحده ، وأن الإنسان أثر من آثار الله ، ودليل على وجوده وإرادته وخلوده » .. وقد حاول « بسكال » مستمداً رؤيته من « القديس أوغسطين » الرد على سؤال الإنسان الخالد « ما الإنسان ؟ » فعرفه بأنه « رغبة أو نزعة إلى السعادة » فإذا كان هو مصدر هذه النزعة ، فإن الله هو غايتها ، وإذا كانت الحياة الدنيا هي غاية الإنسان الأولى فإن غايته الأخيرة لا بد أن تكون الحياة بعد الموت أو الخلود - وليس الفناء - تشبهاً بالله ، ورغبة في الاتصال والاتحاد به بعد معرفته ، وصولاً إلى السعادة الأبدية .. ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق الدين أو الإيمان ، وباتحاده بالفلسفة أو بالبحث الفلسفى .

وَوَحَّدَ « بسكال » بين العلم والإيمان ، فأكد أن
« اللامتناهي » مبدأ سلبي ، في العلم ، كما أكد على أن الحب
هو مصدر الإيمان ، وهو مفتاح المشكلات الإنسانية كلها ..
أو ليس الله في جوهره « محبة » !؟





لؤلؤة
والفلسفة الانسانية

١٧٠٤ - ١٦٣٢

لوك .. والفلسفة الإنسانية (١٦٣٢ - ١٧٠٤)

على الرغم من تلقيه التعاليم الدينية الأرثوذكسية ،
والدراسات الفلسفية الكلاسيكية ، حتى نال درجة
الماجستير ، وفاز بمنصب تدريس هام - على الرغم من ذلك ،
فإنه عاد إلى صفوف الطلبة بإرادته لدراسة الطب على نفقته ،
والاطلاع على الكتب العلمية ، وخاصة في مجال الطبيعة
والكيمياء .

واهتم جون لوك - المولود في التاسع والعشرين من
أغسطس عام ١٦٣٢ بمدينة ونجتون ، بولاية سومرست
البريطانية ، لأب من المحامين المغمورين - بالعمل الوطني
العام ، حتى شغل العديد من المناصب السياسية التي جعلت
منه في نهاية المطاف مطاف شخصية قومية مرموقة .. ومع هذا لجأ

إلى هولندا وتفرغ للفكر والكتابة خمس سنوات ، هي التي شهدت مولد نظرياته الفلسفية جميعها ، والتي انصبت على حرية الإنسان وحياته الاجتماعية ، كما ظهرت في أهم مؤلفاته « مقال في العقل الإنساني » وفي مؤلفاته الأخرى « أفكار عن التربية » ، و « قيادة العقل الإنساني » ، و « روح التسامح » ، و « الحرية السياسية » و « الحرية في الدين » .

وانقطع لوك للبحث في أصل المعرفة الإنسانية و يقينها ومداهها ، كما حدد أسس الاعتقاد والرأى والاتفاق ودرجاتها .. وكان أول من طبق الاتجاه التجريبي والمنهج العلمى فى الفلسفة ، ولعب دورًا مؤثرًا فى حركة التحرير الأوربية ، وضحت ملامحه وظهرت نتائجه بعد ذلك .. فأخذ عنه روسو نظرية « العقد الاجتماعى » واستمد منه مونتسكيو فكرة فصل السلطات ، وآمن بعده فولتير بمبدأ الحرية ، وقد امتد تأثيره إلى الثورة الأمريكية حين نادى جيفرسون بالاستقلال والمساواة والديمقراطية .

وتمر المعرفة عند لوك بمراحل ثلاث : الإدراك الحَدْسِي ، ثم الإدراك الحِسِّي ، ثم الإدراك اليقيني ، وهو إدراك يبدأ بالجزئيات وينتهى إلى الكلّيات ، على عكس ما كان سائدًا ، بحيث تعتمد المعرفة على العقل والتحليل والتجريب ، دون أن تقتصر على الفطرة والفتنة وحدهما .

أما الإدراك الحَدْسِي فيؤدى إلى المعرفة بالوجود الذاتى ،

وأما الإدراك الحسى فيقود إلى المعرفة بوجود الأشياء ، وأما الإدراك اليقيني فهو الطريق إلى المعرفة بوجود الله ، وهذا على العكس أيضاً مما كان سائداً .

وقد تركزت آراء لوك السياسية فى تقسيم السلطة المطلقة إلى ثلاث سلطات ، هى : السلطة التشريعية التى يقودها ممثلو الشعب المنتخبون ، والسلطة التنفيذية التى تتولى تنفيذ القوانين الإدارية والقضائية ، والسلطة الفيدرالية التى تمثل الحكومة المنسقة بين السلطتين السابقتين .

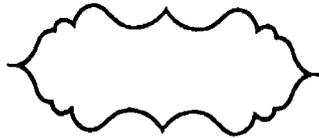
وتركزت آراء « لوك » التربوية فى حرية الفكر ، واستقلال التعليم العام عن التعاليم الدينية ، وإضافة عنصر الأخلاق إلى المواد النظرية والعلمية القائمة ، والاهتمام بتربية الأجسام إلى جانب تربية العقول ، وربط العلوم المختلفة بالحياة العملية .

وتركزت آراء « لوك » حول التسامح فى حرية العقيدة الدينية بلاثخويف أو اضطهاد ، حتى لايتحول الدين - أى دين - إلى سلطة فى أيدي رجال الدين أو رجال الدولة على حد سواء .

ومع هذا استثنى من تسامحه ، هؤلاء الذين ينبغى تقييد حريتهم فى الاختيار ، وهم الملحدون ، والخاضعون للسلطات ، وغير المتسامحين مع غيرهم .

وعندما يربط « لوك » بين الأفكار المجردة والواقع الحى ،
يفرق بين الأفكار الحقيقية ، والأفكار الوهمية من ناحية ،
وبين الأفكار الكاملة والأفكار الناقصة من ناحية أخرى ،
وبين الأفكار الصادقة والأفكار الباطلة من ناحية أخيرة .

وأخيراً توفي « جون لوك » - بعد أن ساءت صحته برغم
اعتكافه فى الريف - يوم الثامن والعشرين من أكتوبر عام
١٧٠٤ ، عن اثنين وسبعين عاماً .





بـيـبـيـنـوزا
والفلسفة الاخلاقية

١٦٧٧ - ١٦٣٢

سينوزا والفلسفة الأخلاقية (١٦٣٢ - ١٦٧٧)

ولد « بندكت دو سينوزا » في الرابع والعشرين من نوفمبر عام ١٦٣٢ بالعاصمة أمستردام سليل أسرة أسبانية عاشت في البرتغال ، ثم فرت إلى هولندا في نهاية القرن السادس عشر ، هرباً من محاكم التفتيش . رحل « سينوزا » إلى لاهاي ليعمل بصناعة شحذ وصقل العدسات عام ١٦٦٣ ، ولكنه ألف في الوقت نفسه أول كتبه « رسالة موجزة في الله والإنسان وسعادته » ثم « رسالة في إصلاح العقل » و« المبادئ الفلسفية لديكارت » و« التأملات الميتافيزيقية » .

حرمه اليهود برغم تمسكه بدينهم من الانتماء إليهم ، وفي الوقت نفسه مقته المسيحيون مقتاً شديداً برغم تحمسه

لأخلاقيات دينهم .. واتهمه أصحاب العقيدة في كلا الدينين بالكفر والإلحاد برغم فلسفته الأخلاقية التي تقوم كاملة على فكرة الله .

وعاش « سينوزا » حياة بسيطة هادئة ، فلم يحب المال ، ولا المناصب ، وكانت مطالبه قليلة وعادية . وبسبب آرائه في الأمور الدينية والسياسية كادت تعاديه الحكومة الإيرلندية لولا ليبراليتها المعروفة .

وتوفى « سينوزا » وهو في الخامسة والأربعين من عمره متأثراً بمرضه الرئوى القاسى .

كتب « سينوزا » قبل مؤلفه الرئيسى « الأخلاق » الذى نشر بعد رحيله كتابين هما : « رسالة فى السياسة اللاهوتية » ، و« رسالة فى السياسة » ، وفيهما يطالب بخضوع السلطة الدينية للسلطة السياسية ، منادياً بحرية الرأى فى جميع الأحوال .

أما « أخلاق » سينوزا فلا تعترف بغير جوهر واحد ، هو الله ، خالق الذهن والمادة ، والقادر وحده على إفنائهما ، لأنه اللامتناهى المطلق ، وأعلى فضيلة للذهن هى أن يعرف الله ويحبه حباً عقلياً عظيماً ، وهذا لا يتأتى إلا إذا كان فهم المرء لنفسه ولعواطفه كبيراً . فالحب العقلى لله هو اتحاد الفكرة والعاطفة ، وليس شرطاً أن يسعى المرء إلى أن يحب الله مقابل

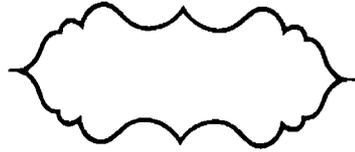
حبه له ، وهذا هو « إنكار الذات » إحدى ركائز فلسفة « سبينوزا » الأخلاقية .. إن حب الله هو الفضيلة ذاتها لأنه يؤدي إلى السعادة الروحية ، والإحساس بالنبيل ، والقدرة الإنسانية .

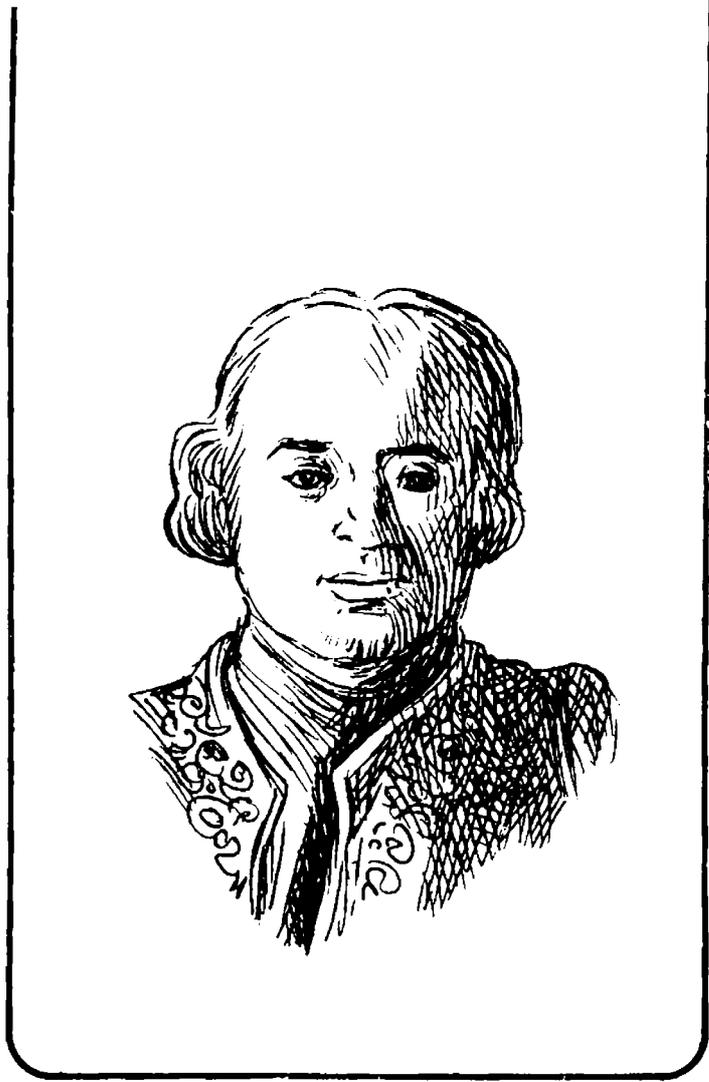
ومن الركائز الأخلاقية عند « سبينوزا » الحب الإنساني الذي يتغلب على الكراهية ، فهو يعتقد أن الكراهية تتزايد حين تكون متبادلة ، ويمكن أن يقضى عليها الحب ، فالكراهية التي يقهرها الحب تتحول إلى حب ، وحينئذ يكون الحب أعظم لو لم تسبقه كراهية . وهو ينطلق في هذا من المبدأ المسيحي « أحب أعدائك » ، فعنده أن الخطيئة أساسها الجهل ، ولذلك فالله - بحسب المبدأ المسيحي أيضاً - يدعونا لأن « نصفح عنهم ، لأنهم لا يعرفون ما يفعلون » ذلك أن الحياة التي تسيطر عليها عاطفة واحدة هي حياة ضيقة لاتتصف بالحكمة .. أما المحنة الخاصة فلا ينبغي أن يخلعها المرء على العالم كله ، لأن الكل أبقى من الفرد .

ومن ركائز الأخلاق عند « سبينوزا » نسبية الخير والشر ، فنحن نسمى خيراً ما نعرف تمام المعرفة أنه نافع لنا ، وعلى ذلك فالإنسان الخَيْرُ خَيْرٌ بالمعنى المألوف لهذه الكلمة ، فهو يعمل على أن يكون الآخرون أحراراً وحكماء ، مراعيأ في ذلك أن الكراهية والنفور لا يجديان في معاملة الناس ، كما أنهما لا يجديان في علاقتنا مع الصخور والأحجار ، وهو يعلم أن

الشيء الوحيد الذى يستحق أن يسعى إليه هو المعرفة ، وأن
تحصيلها فى صحبة الآخرين أفضل له من تحصيلها وهو
منعزل .

ويرى « سينوزا » أن العقيدة الدينية خير مادامت تعمل
على الحياة الفاضلة ، وأن النظام الاجتماعى خير إذا حقق
للمواطنين الأمن والأمان .. وطالما أن الناس يتفانون فى درجة
الكمال ، كان لابد لبعضهم أن يطيعوا أولى الأمر منهم ..
وهو مبدأ إسلامى نادى به « سينوزا » لتكتمل فلسفته
الأخلاقية التى تقوم على المبادئ الأخلاقية فى الأديان جميعاً
دون تحيز أو تعصب ، لأن الهدف المبدئى والنهائى هو الحب ،
حب الإنسان للإنسان ، وحب الإنسان لله .





هــيـوم والفلسفة الـوضعية

١٧٧٦ - ١٧١١

هيوم .. والفلسفة الوجودية (١٧١١ - ١٧٧٦)

في أدنبرة بسكوتلندا ، توفي ديفيد هيوم ليلة الخامس والعشرين من أغسطس عام ١٧٧٦ ، وكان قد ولد في المدينة نفسها ليلة السادس والعشرين من أبريل عام ١٧١١ .
نشأ هيوم في أسرة متوسطة ، وتلقى تعليماً متوسطاً ، ولكنه شغف بالأدب ، وشغل بالفلسفة منذ صباه الباكر ، حتى إنه أكمل فكره وَكَوَّنَ فلسفته قبيل بلوغه الخامسة والعشرين ، عندما انتهى من أول وأبرز مؤلفاته على الإطلاق « رسالة في الطبيعة البشرية » وهو في فرنسا ، وإن نُشِرَ أجزاءه الثلاثة في إنجلترا .

لم يَلَقَ الكتاب على أهميته الرواج الذي لقيته الكتب التالية

عليه : « مقالات في الأخلاق والسياسة » ، و« مناقشات سياسية » ، و« محاورات في الديانة الطبيعية » ، و« تاريخ بريطانيا العظمى » ، و« حكم أسرة تيودور » ، و« من القيصر إلى هنرى السابع » .

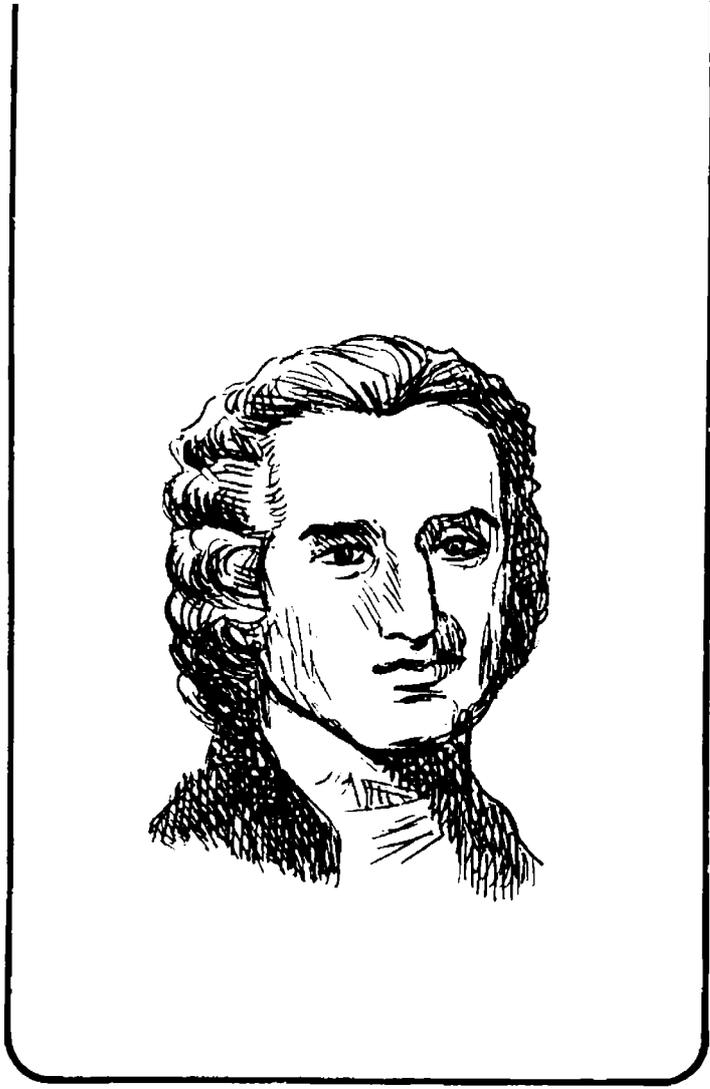
وقد أراد هيوم بكتابه هذا معالجة عيوب الفلسفات السابقة التي تقوم على الافتراضات غير اليقينية ، فوضع أسس العدد التجريبي أو عِلْم الإنسان ، من حيث الفهم أو العمر والانفعالات أو المشاعر والأخلاق والسلوك .. ويُعرّف الزمان بأنه الطريقة التي تحدث بها الإدراكات الحسية ، أما المكان فهو الطريقة التي ترتب وفقاً لها النقاط الملونة المحسوسة . ويتألف الاستدلال العقلي في نظر هيوم من اكتشاف العلاقات ، وهذه العلاقات إما أن تكون بين أفكار أو مرتبطة في الواقع بأشياء أخرى . وعلى هذا فإن البراهين الرياضية والاستدلالات التجريبية هي وحدها الواقعية ، وما عداها وَهْمٌ وَسُفْسَظَةٌ .. فإذا كانت البرهنة القاطعة مستحيلة ، فمن الممكن الاستدلال على سبيل الاحتمال ، والعلاقة التي تقوم عليها تلك الاستدلالات الاحتمالية هي علاقات العلة بالمعلول .

ويصل هيوم إلى القول بأن العقل والحس كليهما لا ينتجان اعتقادنا في الأشياء المادية ، مُقَلِّلاً بذلك من كفاءة العقل ،

ومبيناً أن الاعتقاد حالة نفسية ترجع إلى الغريزة ولا ترجع إلى المنطق ، كما أن الانطباعات وخصائصها المحسوسة ، مثل اللون والدفء إنما تتوقف على إدراكنا الحسي لها ، ولا يمكن أن يكون لها وجود مستقل .

ويرى هيوم أن العقل لا يمكن أن يميز وحده بين الخير والشر ، لأنه لا يؤثر على السلوك ، وهذه هي إضافته في علم الأخلاق ، ويضيف رأيه فيما يتعلق بالتزامات العدالة كالوفاء بالوعود والولاء للدولة واحترام الملكية ، فيرى أنها تقوم على مواضع اتفافية تخلق التزاماً أخلاقياً يفرق بين الحق والباطل ويُغلب العدل ، وهو تفسير ينتقد بشدة نظرية « العقد الاجتماعي » ، لأن الأخلاق تقوم في نظر هيوم على المشاركة الوجدانية ، وهي دافع واهن غير مضمون ، ولا هو متساوٍ لدى الجميع .

وقد تأثر بهيوم عدد من الفلاسفة في مقدمتهم « عمانويل كانط » ، الذي اعترف بأن هيوم هو الذي أيقظه من سباته الدوجماتيقي ، أو جموده الاعتقادي .. كما يعترف الدكتور زكي نجيب محمود بأنه ينتمي إلى حركة هيوم الفلسفية ، تلك الحركة التي فتحت المجال عريضاً وعميقاً أمام التجريبيين العلميين المحدثين من فلاسفة هذا العصر ، وكل عصر .



روسو
وفلسفة العدالة

١٧٧٨ - ١٧١٢

روسو وفلسفة العدالة (١٧١٢ - ١٧٧٨)

« الاعترافات . العقد الاجتماعي . إميل » تلك هي المؤلفات الضخمة التي اشتهر بها المفكر السويسري - الفرنسي « جان جاك روسو » ، ولكنه مثل غيره من مفكري عصره ، وخاصة فولتير . كتب أيضاً في العلوم والفنون والآداب ، كتب « هيلويز ، وأصل عدم المساواة بين الناس ، والإنسكلوبيديا » وبحث في الموسيقى الحديثة ، وحديث عن العلوم ، والفنون ، وإن اعتبر - دوناً عن غيره - هذه الفروع الثلاثة من المعرفة مفسدة للأخلاق ، وإضاعة للوقت والفضائل ، ودليلاً على شقاء الشعوب وكبريائها الفارغة ، ولذلك وجه دعوته للرجوع إلى الحالة الطبيعية للإنسان الأول ، وسط الطبيعة وفي أحضانها ، والنزوع عن الترف

المفسد ، حتى لو تمثل هذا الترف في العلوم والفنون والآداب ، وهي دعوة سبقه إليها كل من « مونتسكيو » و « ماريفو » .

و « روسو » الذي ولد في الثامن والعشرين من يونيو عام ١٧١٢ بجنيف متسبباً في موت أمه ، توفي في الثامن من يوليو عام ١٧٧٨ بباريس ، ولأنه من أصل فرنسي رحل إلى فرنسا ، واستقر بها ، ولع فيها ، بعد أن عاش في سويسرا بعيداً عن والده حياة شريفة ، بدون أن يدخل مدرسة أو يلتحق بعمل أو يتعلم مهنة أو حرفة ، ولكنه كان يلتهم الكتب قراءة وتعليقاً .

ويهتم بدراسة الموسيقى استماعاً وتحليلاً ، ويلتحم بالطبيعة عشقاً وهياماً ، وهي العناصر الثلاثة التي كونت شخصيته ، وصقلت موهبته ، وجلت عبقريته ، فجعلت منه فيلسوف عصره ، ومفكر زمانه .

عاش « روسو » في الطبيعة وبالطبيعة وللطبيعة ، زاهداً في حياة النعيم : مأكليها ، وملبسها ، ومسكنها ، مُعبراً عن أحاسيسه ومشاعره ، معتبراً نفسه مركز الكون وبداية الوجود ، وجاعلاً من العقل خادماً متواضعاً للشعور ، فالخيال عنده يسمو على كل شيء .

وهكذا كفر بكلاسيكية القرن السابع عشر ليبشر

بالرومانتيكية التي سادت القرن التاسع عشر ، وعمل على نشرها هوجو ، ودي فيني ، ودي موسيه ، كمذهب يعبر عن الذات ، وينطلق إلى الحرية من الحرية وبالحرية .

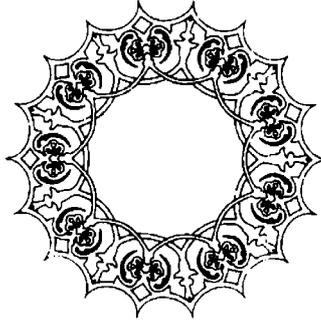
هذا المذهب الجديد طبقة « روسو » في روايته « هيلويز الجديدة » التي ظهرت عام ١٧٦٠ في ألف صفحة بعنوان خطابات عاشقين يقطنان مدينة صغيرة في سفح جبال الألب ، فأحدثت ثورة في الأدب الفرنسي خاصة ، والأدب الأوربي عامة مضموناً وأسلوباً .

وفي كتابه « إميل أو التربية » عنى بتربية الأطفال في مدينته الفاضلة ، بعد أن فقد الأمل في إصلاح الكبار وصلاحتهم ، بادئاً بالمساواة بينهم وتعميق مفاهيم العدالة الاجتماعية ، انطلاقاً من العدالة الإنسانية ، وتأسيساً على العدل الإلهي ، ثم الوطن وغرس حبه في نفوسهم ، لدرجة إرضاع الأطفال هذا الحب مع لبن الأم تمهيداً لجعل العالم كله وطناً لهم جميعاً .

وكما أعلن « روسو » حقوق الطفل - جائزاً على المرأة - في التربية ، يعلن كذلك حقوق الإنسان في العقد الاجتماعي ، وأول حقوق الإنسان الحرية ، ثم المساواة القائمة على إزالة الفوارق الظالمة بين الناس ، ذلك أن الملكية الخاصة والتراف والإمعان في الشهوات هي سبب كل التعاسات المكدسة التي تقع على رعوس ملايين الفقراء . أما قواعد الإصلاح التي

وضعها لإسعاد البشرية فترمى إلى هدم القديم المتهالك ، وإقامة نظام جديد يستلهم الطبيعة والعيش في ظلها على طريقة القبائل الفطرية الأولى .

ولقد بلغ الأثر الذى تركته مؤلفاته فى النفس ذروته - فكراً مُتَّقِداً وأسلوباً وجدانياً - فى الاعترافات ، أصدق وَأَجْرَأُ ما كتب فى هذا اللون من المذكرات ، أكثر حتى من « مالرو » و « سارتر » و « طه حسين » و « الحكيم » .





سان سيهون..
والفلسفة الاجتماعية

١٧٦٠ - ١٨٢٥

سان سيمون .. والفلسفة الاجتماعية (١٧٦٠ - ١٨٢٥)

على الرغم من كونه ابناً للكونت ، وسليلاً لشارلمان وتلميذاً للدالمبير ، فإنه اشترك في حرب التحرير الأمريكية ، وانتخب رئيساً لاتحاد الفلاحين ، وتنازل عن لقب الكونت ، وعمل مندوباً للبنوك ، ثم أقام مؤسسة للنقل الخاص حتى وقع انقلاب سبتمبر ١٧٩٧ ضد الملكية ، فصفى أعماله التجارية وعاد إلى دراساته المتعمقة بالكلية الفنية ، دارساً للعلوم الطبيعية والرياضية ، وخاصة بعد أن اختلف هو ومدام دوشثال مع نابليون وسياسته .. فلما ضاق به الحال عمل مصححاً في مطبعة ، وبائعاً في مكتبة ، إلى أن أصدر مجلة « الصناعة » ، ثم مجلة « السياسي » مع سكرتيره « أوجست كونت » الذي أصبح فيما بعد فيلسوف علم الاجتماع

الأول ، والذي أفاد منه كثيراً في تكوين فلسفته الاجتماعية .

وتبرز فلسفة « سان سيمون » الإنسانية والاجتماعية من ثنايا أهم مؤلفاته « بحث في علم الإنسان » حيث يرى أن التقدم العلمي هو السبيل لتحقيق سعادة الإنسان ، على أن يكون هذا التقدم نافعاً للمجتمع الإنساني ، ملائماً لنظمه ، متكيفاً مع تقاليده ، متفقاً وقيمه .. كما يرى « في إعادة تنظيم المجتمع الأوربي » أن سعادة الإنسان تتمثل في التطلع إلى المستقبل بالإفادة من سمات العصور السابقة ، وتحديد سمة العصر الحاضر .

إنه الفيلسوف الفرنسي « كلود هنري دي سان سيمون » الذي فقد عينه اليمنى بعد أن حاول الانتحار بمسدسه ، نتيجة لفشل تنظيماته الاجتماعية الخاصة بالصناعة والطبقة العاملة والإقطاع الاقتصادي والديني .. ولم تمض سنتان على هذه الواقعة حتى توفي « سان سيمون » بباريس ليلة التاسع عشر من مايو عام ١٨٢٥ ، وكان قد ولد بالعاصمة نفسها ليلة السابع عشر من أكتوبر عام ١٧٦٠ .

إن سمة عصره - القرن التاسع عشر - هي التنظيم ، بعد أن سيطر اللاهوت والفن والفكر والتحرر على العصور الماضية .. وهو إذ يهتم من الناحية الاقتصادية بجوهر الإنتاج ، إنما يتطلع إلى وضع القوة الإنتاجية في المجتمع ، وتحديد نظام

الملكية الفردية والملكية الجماعية ، أى ملكية الدولة ، حتى لو أدى ذلك إلى مجموعة من التوضيحات .

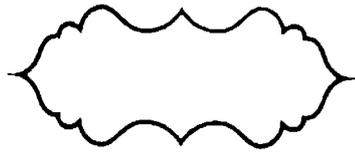
وعندما يبحث في « تاريخ الإنسان » يقرر « سان سيمون » أن انتشار العلم والمعرفة هما إحدى السبل الفعالة في تقارب الشعوب والمجتمعات وتوحيد الإنسانية كلها ، كما يقرر أن العلماء - كما يؤكد التاريخ - هم القادة في أى مجتمع متطور .. فالفكر الإنساني - مادياً وروحياً - هو الإسهام الحقيقي في التقدم الحضارى .. فهو الذى أبرز علوم الفلك والطبيعة والكيمياء التى تطلبت قيام علم الإنسان ، هذا العلم الذى يستوجب تغييراً ضرورياً فى نظم السياسة والأخلاق والتعليم ، علماً بأن التقدم العلمى لن يؤدى إلى الظلم أو السيطرة أو قيام حكم استبدادى يعتمد على قوة العلوم ، كما جاء فى « آراء أدبية وفلسفية وصناعية » .

ويؤيد سان سيمون فى « السياسى » نظام الطبقات فى المجتمع الواحد ، حتى لاتسود طبقة واحدة .. على أن تكون العدالة الاجتماعية هى الفاصل والفيصل بين هذه الطبقات ، وبحيث تأخذ كل طبقة المكانة التى تفرضها فوائدها ومكاسبها ومنجزاتها لصالح المجتمع بجميع طبقاته .

ويطالب فى « الصناعة » بإنشاء علم للحرية ، فالتعلق بالحرية وحده لايكفى .. وإنما علينا ، إذا أردنا أن نكون

أحرارًا ، أن نحصل على حريرتنا ولا ننتظر حتى تمنح لنا . وهذه الحرية تعتمد على الصناعة من حيث هي وسيلة وليست غاية ، على اعتبار أن الصانع هو كل من يعمل في سبيل التقدم والاستقرار وزيادة الإنتاج ، فالعالم والزارع والتاجر والحرفي والمهني والصحفي ، كلهم من الصناع .. فهم يشكلون الطبقة أو الطبقات المنتجة ، وتحسين أوضاعهم لا يتحقق إلا بإلغاء الامتيازات التي تتمتع بها الطبقات غير المنتجة .

ويبقى على العلماء والمفكرين والفنانين تعريف الطبقات الأكثر عددًا وجهدًا بدورها الاجتماعي والحضاري ، كما يبقى عليهم أيضاً المساهمة ، من خلال الاكتشافات والمخترعات والفنون والآداب والأفكار والآراء ، في تهيئة المناخ الملائم والجو المبهج ، بعد طول حرمان ومعاناة ومكابدة ، من أجل حياة أنقى وأخصب وأفضل .



هيجل وفلسفة الجمال (١٧٧٠ - ١٨٣١)

في السابع والعشرين من أغسطس ١٧٧٠ ولد « جورج فيلهيلم فريدريش هيجل » بمدينة شتوتجارت بألمانيا ، لأب محدود الثقافة .. وأشرفت الأم على تعليمه بالمدرسة اللاتينية التي نبغ فيها ، حتى أنه قرأ - وهو بعد في السادسة عشرة - « أرسطو » و« شيشرون » و« يوربيدس » وترجم بعض مسرحيات « سوفوكليس » والتحق « هيجل » بالمعهد الديني ، وأنفق فيه خمس سنوات ، ولم يقتنع فيها لا بالبروتستانتية ولا بالدراسات اللاهوتية .. ثم عين محاضراً بجامعة « بينا » وأصدر مع الفيلسوف « شيلنج » الجريدة الفلسفية النقدية .. وقصفت الحملة الفرنسية المدينة عام ١٨٠٦ فغادرها « هيجل » أسفاً ، ولكنه عين بجامعة برلين ،

وظل ينشر فيها فلسفته ويعلمها للطلبة والأساتذة معاً ، حتى أصيب بمرض الكوليرا ، وتوفي في الرابع عشر من نوفمبر عام ١٨٣١ بعد أن عاش نصف حياته في نهاية القرن الثامن عشر ، وعاش نصفها الآخر في بداية القرن التاسع عشر ، حياة مليئة بفكر هذا المفكر .

فبعد أن استخلص « هيغل » في البداية « ظاهريات الروح » وبعد أن وضع « المنطق » في ثلاثة أجزاء ضخمة ، وبعد أن صاغ « أصول فلسفة القانون » نشر دروسه في « تاريخ الفلسفة » و« فلسفة التاريخ » و« فلسفة الدين » و« فلسفة الجمال » .. بحيث يحتكم دائماً إلى العقل الذى يحكمه دائماً ، من خلال « الديالكتيك » أو الجدل في حالاته الثلاث : الإثبات ، والنفى ، ونفى النفى .. ثم انتهى إلى مذهبه المثالى القائم على « الأخلاق » أو « علم الأخلاق » .

والأخلاق هي قبول الفرد التخلي عن كل شيء لكى يعيش في ظل قوانين الأخلاق العرفية متى وأينما وجد ، طالما أنه عضو في مجموع .. ذلك أن الأنا الإنسانية تتكون من انتمائها إلى المجموعة البشرية ، وهى جزء له إرادة ، ولكنه يذوب بإرادته في الكل حتى يتوافق مع المصير الإنسانى كاملا .

وتاريخ الفلسفة - في مذهب هيغل المثالى الأخلاقى - ليس مجموعة الآراء المختلفة والمذاهب المتباينة للمفكرين

المختلفي النزعات ، ولكنه حلقة متصلة لإبانة كليات العقل ، ذلك أن العقل هو حاكم العالم وجوهره ، لأنه القوة اللامتناهية التي تحرك المادة اللامتناهية ..

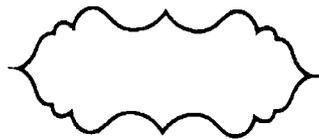
وهو بهذا يرتفع بالفلسفة إلى مستوى العلم ، على الرغم من أنها تنفرد من بين العلوم جميعاً بأن تاريخها جزء منها ، لأن الفلسفة وتاريخ الفلسفة غايتها واحدة ، هي العقل في حالة فكر ، أليست الحياة ذاتها هي حياة الفكر ؟ والتاريخ الإنساني كله هو تاريخ الفكر ، مرتبطاً بتطور الشعوب الحرة ، أو تطور الشعوب بالحرية ؟

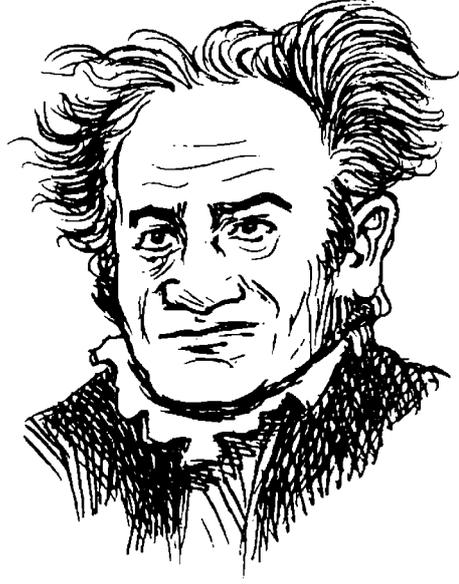
فإذا كان « هيجل » بمثاليته قد رفض البرهان على وجود الله ، إذا كان مصدره الحاجة إلى قوة خارجية ، اقتناعاً عقلياً منه بأن وجود الله مطلق وغير مرهون بشيء أو بدعوى أو بحجة ، فقد قرر بمثاليته أيضاً أن الدين ، وهو الظاهرة غير المعزولة عن التاريخ والحضارة ، إحدى حالات ثلاث تدرك بها الروح ذاتها ، شأن الفلسفة والفن .

أما فلسفة الجمال عند « هيجل » فتعنى الفن الجميل ، وليس الشيء الجميل .. والجمال عنده حدث وفعل وليس صفة وكيفاً .. فالتمثال من الممكن أن يكون إنساناً ، ومن الممكن أن يتحقق الإنسان في التصوير وفي الموسيقى وفي الشعر وفي الأدب .. الجمال إذن هو الإنسان ، والفن الجميل

رسالة تعبر عن روح الشعب في إطار روح العصر وليس لصالح فئة معينة ، ولا بمعزل عن الزمان والمكان .. والإبداع الفنى مزيج من العقل الواعى الجمعى والإلهام الذاتى الوضعى ، لدرجة الاتحاد العضوى أو التوحيد بينهما ، بحيث يستحيل الجانب العقلى إلى إحساس خالص ، على خلاف « شيلر » الذى كان يقول بأن الفن هو التوفيق بين المحسوس والمعقول .. فإذا كان الجمال غاية مطلقة ، فهو لا ينقسم بحال إلى واقع خالص وصورة خالصة ، وإن كان هو المظهر الحسى للفكرة أو المظهر الشكلى للحياة .. والفن - الذى هو الجمال - فكر مطلق ، شأن الدين والفلسفة .

وهكذا تكتمل ثلاثية « هيجل » المنطقية أو « ظاهريات الروح » فلسفة الدين ، وفلسفة الفلسفة ، وفلسفة الجمال ، وإن أضاف إليها فلسفة القانون ، وفلسفة التاريخ ، وفلسفة تاريخ الفلسفة .





شوپنہاور
وفلسفۃ الإرادۃ

۱۸۶۰ - ۱۷۸۸

شوبنهاور وفلسفة الإرادة (١٧٨٨ - ١٨٦٠)

في الحادى والعشرين من سبتمبر عام ١٨٦٠ توفى
الفيلسوف الألماني « آرثر شوبنهاور » وكان قد ولد في مدينة
دانتزيج عام ١٧٨٨ لأسرة عريقة تعمل بالتجارة .. وانتقل إلى
باريس وهو في التاسعة من عمره ، ثم التحق بمدرسة داخلية
بإنجلترا وهو في الخامسة عشرة ، فتعلق بالدراسة الأكاديمية
وبالحياة الأدبية من خلال « صالون أمه الأدبي » الذي كان
تؤمه الصفوة من المثقفين .. وتأثر بالرومانسيين ، ومع هذا
فقد اهتم بدراسته العلمية حتى أصبح محاضراً في برلين ،
ووضع أهم كتبه « العالم كإرادة وفكرة » وهو في الثلاثين من
عمره .. وعاش في أواخر أيامه - كما عاش طوال حياته
- وحيداً بغير زوجة ولا ولد ، مما دفعه إلى الإيمان بالنزعة
الروحية ، وبالسحر أيضاً .

أما مذهب « شوبنهاور » أو مبدؤه الواحد الشامل الذى تتفرع منه المبادئ الفلسفية الأخرى المتضمنة لفلسفته الرئيسية فينصبّ على الإرادة الإنسانية الواحدة التى لازمان لها ، مستمدة من إرادة الله ، وإن اتَّحَدَتْ مع إرادة العالم بأسره .. والإرادة هى وجود الإنسان الظاهرى ، وهى الدافع لأفعاله وحرركاته وتحركاته .. وهى بهذا المعنى ليست غاية فى ذاتها ، ولكنها وسيلة لتحقيق الرضا وسط عالم مملوء بالشروع ، وحياة مفعمة بالتشاؤم ، وتنتهى حتماً بالموت .. ولأن الإرادة لا تنفضى بالضرورة إلى السعادة المنشودة فإنها تسبب الألم الذى يقل كلما قلت ممارسة الإرادة .. ولهذا يتفق « شوبنهاور » مع النزعة الصوفية فى زهدا للحياة ، بما فيها من إرادة مصحوبة برغبات ، طلباً للسعادة الدنيوية ، وطبعاً فى نعيم الآخرة .. وإن كان الزهد فى ذاته فعلاً إرادياً قد يصل إلى تعذيب الذات والإبطال التام للإرادة الفردية .. فالعالم - كما يظهر لشوبنهاور - هو تجسيد للإرادة فقط ، وباستسلامها تمحى كل ظواهرها .. ولكنه يعود ليؤكد أن الإرادة حقيقة قائمة بذاتها ، وماهية للأشياء جميعاً .

والغريب بعد هذا كله أن يضع « شوبنهاور » نظريته التى تقول بأن الإرادة هى المعرفة الأولى ، وهى أعلى مقاماً من المعرفة ومن العقل الخالص بالتالى .. ولهذا فإن الصراع بين

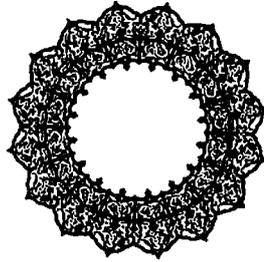
الإرادة والعقل ينتهى إمّا بالسعادة أو بالشقاء ، تبعاً لمقدار الصواب والخطأ .

إن فلسفة « شوبنهاور » تثق في الإنسان وتعتبره الركيزة المحورية التي يدور حولها الكون كله .. وهو عندما يتكلم عن الإنسان إنما يعنى الإنسان الفرد ، وليس الإنسان على الإطلاق ، بحيث يصبح الفرد ظاهرة من ظواهر الإرادة .. وهنا تتحول الإرادة إلى مبدأ لا عقلى ، أو مضاد قوى للعقل القاصر دائماً - مهما بلغ من رجاحة - عن الوصول إلى المطلق .. وهى إحالة إلى فكرة القضاء على الفردية أو الشخصية المتفرّدة إذ لا تمايز واضحاً وحاداً بين فرد وآخر ، أو بين شخص وآخر ..

أما تشاؤمية « شوبنهاور » المفرطة التي ترى أن العالم وجد ليعكر صفونا ، وأن الحياة لا غاية لها ، فقد أثرت في جيل بأكمله من تلامذته ، فيما عدا تلميذه الفذ « نيتشه » الذى اكتشف - برغم تشاؤميته هو الآخر - أن الحياة هى الغاية فى ذاتها ، وليست الغاية هى الحياة .. كما يختلف مع أستاذه الذى يعلق قيمة الحياة على مقدار ما تمنحه لنا من سعادة أو شقاء ، لأنه يرى أن الحياة هى القيمة التى تقوم بها السعادة أو الشقاء ، تؤكدها كقيمة فى حد ذاتها الأخلاق ، وتدحضها اللاأخلاق ، أو الخير والشر .. وبينما ينكر « شوبنهاور » إرادة

الحياة ، ينتصر لها « نيتشة » وغيره من فلاسفة القرن التاسع عشر ثم قرنا العشرين .

لقد بنى « شوبنهاور » مذهبه على الواقع وليس من نسج الخيال ، وهو إذ يمجّد « قوة الإرادة » ينحنى فى الوقت نفسه لإنكار الذات .. ولذلك اصطبغت فلسفته بالصبغة الإنسانية ، ففيها من العقل قدر ما فيها من الوجدان ، وفيها من الحدس بقدر ما فيها من الحس والإحساس .. وهو عندما يصور الحياة بظلاله الداكنة إنما يدعونا لتلوين حياتنا بالوردى من الألوان ، وعندما يغلق أبواب السعادة بمفاتيحه الحديدية إنما يحفزنا إلى فتحها بقوة إرادتنا وإرادة الحياة .





الطهطاوى
وفلسفة الحضارة

١٨٧٣ - ١٨٠١

الطهطاوى وفلسفة الحضارة (١٨٠١ - ١٨٧٣)

فى يوم الثلاثاء ٢٧ مايو ١٨٧٣ ، توفى بالقاهرة رفاعة
رافع الطهطاوى ، وكان قد ولد فى طهطا عام ١٨٠١ سليلاً
للطاهرة فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم . حفظ القرآن
بمساعدة والده الذى أوفده - برغم حاجته - إلى الأزهر عام
١٨١٧ ، حيث أتم الفتى رفاعة تعليمه بعد خمس سنوات ،
فتولى التدريس فيه إلى أن اختير على رأس بعثة « محمد على »
الموفدة إلى فرنسا عام ١٨٢٦ ، ولخمس سنوات أخرى ،
فتعلم الفرنسية وترجم إلى العربية أكثر من عشرين كتاباً فى
التاريخ ، والجغرافيا ، والأدب ، والشعر ، والسياسة ،
والعلوم ، والهندسة ، والطب . وسجل ملاحظاته فى العلم
والمعرفة والحكمة ، والتي تشمل حضارة الغرب ، آن ذاك ،

في كتابه الضخم « تخلص الإبريز في تلخيص باريز » الذي نُشر لأول مرة عام ١٨٣٤ ، والذي نبه فيه الشرق إلى اليقظة والنهوض ، ودعا فيه إلى إنشاء « مدرسة الألسن » التي أنشئت بالفعل عام ١٨٣٥ ، وعُرفت باسم « مدرسة المترجمين » لتعلم اللغات الأجنبية ، وترجمة ما من شأنه أن يلخص « حضارة أمة ونقلها إلى أمتنا » لتغذي بها حضارتها الضائعة ، وقد كانت يوماً هي « الحضارة الأم » .

لم يصدر رفاة الطهطاوي عن عقدة نقص بعد مشاهداته لحضارة الغرب ، ومطالعته في مآثرها ، ولم يصدر عن عقدة استعلاء لإدراكه بأن هذه الحضارة ما هي إلا ميراث لحضارة أُمته ، فما زال يقارن بين ابن خلدون ومونتسكيو ، وبين الفارابي ودي ساسي ، ولكنه جمع بين حضارة الغرب المتقدمة ومفاخر حضارة العرب القديمة ، ولذلك عنى بإحياء التراث القديم مثلما عنى بترجمة مآثر الغرب ، تحقيقاً للنهضة الفكرية ، ودفعاً لحركة البعث الجديد

ولكن الطهطاوي حُورب ، فما إن تولى الخديو عباس حتى ألغى مدرسة الألسن ، وأبعده إلى السودان حيث عُين ناظرًا لمدرسة ابتدائية أنشأها بنفسه لتكون نواة لنشر التعليم ، وليبدأ من جديد رحلته في الارتقاء بالبشر أينما كانوا ، وكلما أتاحت له الفرصة ، إلى أن تولى الخديو سعيد ، فأعادته إلى

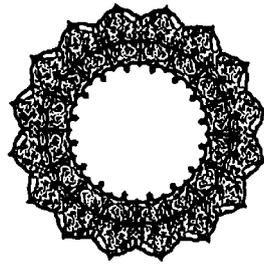
مصر وعينه ناظرًا للمدرسة الحربية ، وعندما تولى الخديو إسماعيل أعاد ديوان المدارس ، وعهد إلى رفاة بافتتاح المدارس الجديدة ، ومن بينها مدرسة الألسن .

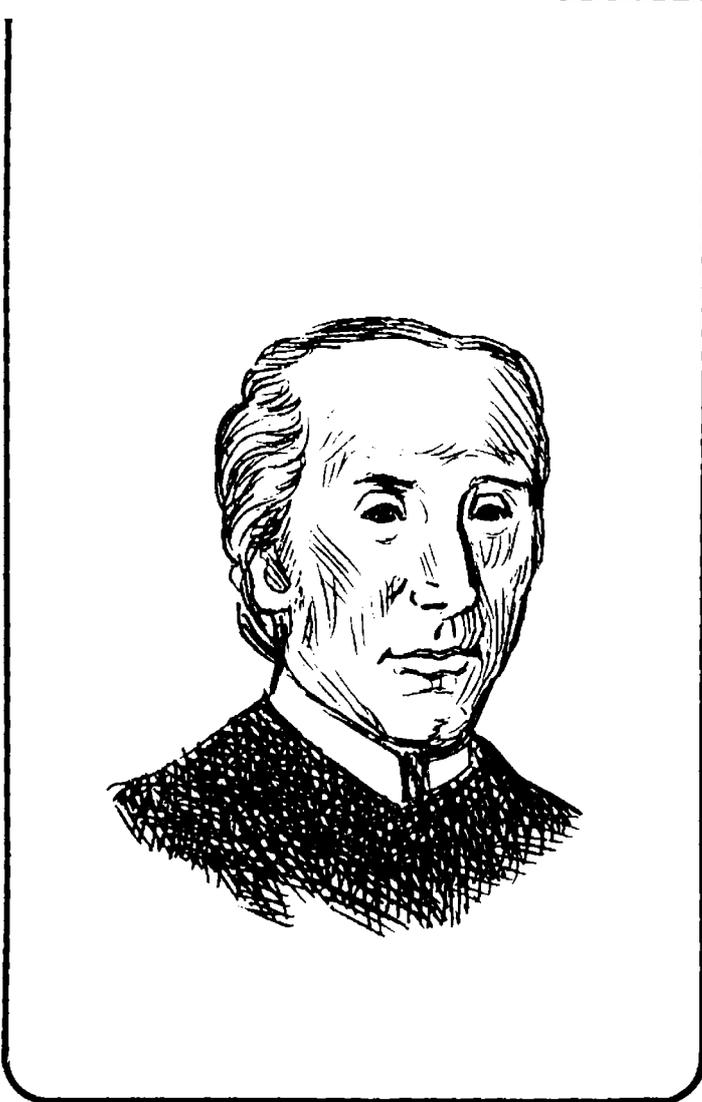
وكان « رفاة الطهطاوى » أول من دعا إلى تعليم المرأة قبل « قاسم أمين » ، صاحب الدعوة نفسها المؤثرة والشهيرة معاً . وكان الطهطاوى أول من أطلق - خاصة في كتابه « المرشد الأمين في تعليم البنات والبنين » من منطلق الحرية - دعوة الود والتفاهم المشترك بين الرجل والمرأة في العمل ، وفي علاقتهما الزوجية التي ينبغي أن تتسم بحسن العشرة ، والاهتمام بتربية الأبناء في جو صالح وصحى ، أخذًا بنظم التربية الحديثة في الغرب ، وتطبيقاً - أولاً وأخيراً - للشريعة الإسلامية السمحة ، ذات النظرة الاجتماعية ، دوماً في كل الأوطان ، ولكل العصور .. وحرية « الطهطاوى » هي قرينة المساواة والعدالة ، وقد قسمها إلى خمسة أقسام : حرية طبيعية ، كحق الإنسان في الماء والهواء والأكل والشراب ، وحرية سلوكية تستهدف مكارم الأخلاق ، وحرية دينية في اختيار العقيدة ، وحرية مدنية في تطبيق القوانين ، وحرية سياسية في الرأى والتعبير .

وكما كان « الطهطاوى » مترجماً مبدعاً في اختياره وتناوله - وليس مجرد ناقل - وكما كان « موسوعياً » في كتاباته المختلفة - وليس مجرد رَحَّالة - كان مؤرخاً عالماً يستند إلى

الوقائع ، ويرجع إلى الكشوف الأثرية .. وهو أول مؤرخ
مصرى عرف تاريخ مصر القديم ، وآمن بأعجاز هذا التاريخ ،
ولم يكتف بالكشف عن هذه الحقبة الحضارية الأصيلة في
تاريخنا ، بل أَرخَ للفتح العربى ، ولصاحب الدعوة الإسلامية
عليه الصلاة والسلام .

لقد كان رائد الفكر المصرى الحديث « رفاعة رافع
الطهطاوى » معلماً لأُمَّةٍ ، وباعثاً لنهضةٍ ، وَبَشيراً للتقدم .





ستيوارت مل
والفلسفة النفعية

١٨٧٣ - ١٨٠٦

ستيوارت مل والفلسفة النفعية (١٨٠٦ - ١٨٧٣)

ولد « جون ستيوارت مل » في العشرين من مايو عام ١٨٠٦ بلندن ، وتوفي في الثامن من مايو أيضاً ، ولكن في أفينيون الفرنسية عام ١٨٧٣ .. تتلمذ على اثنين من كبار مفكرى عصره ووطنه : والده « جيمس مل » والمصلح « جيرى بنتام » وَإِنْ عَلَّمَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ عَنْ طَرِيقِ الْكُتُبِ الَّتِي شَغَفَ بِهَا مَبَكْرًا ، وَالتَّهْمَا مِنْذُ الصَّغَرِ .

بدأ - في مذهبه النفعى - بالحرية الفردية والسعادة الفردية والنظرة الأنانية ، وانتهى إلى التبشير بالحرية الجماعية والسعادة الجماعية والنظرة الغيرية ، منطلقاً مما هو كائن « الرغبة » إلى ما ينبغي أن يكون « تحقيق هذه الرغبة » فالمنفعة الشخصية هى التى تدفع الإنسان إلى إفادة غيره ، ومن السداجة توقع

إقدام الآخرين على فعل لا يحقق لهم نفعاً ، حتى الغيرية ، هي في الحقيقة أنانية مُقَنَّعة ، وما يبدو في نظر الناس فعلاً مجرداً غالباً ما يكون مَرْدُهُ حب الذات ، وتلك خلاصة فلسفته الأخلاقية . تلك الفلسفة التجريبية الحسية التي تتطبع بطابع العلم ، وتقوم على مناهجه القياسية ، تماماً كالعلوم الطبيعية في دراسة الظواهر بالملاحظة الدقيقة ، والاستدلال المنطقي ، والاستنباط العقلي ، والاستقراء التجريبي ، والتحليل الموضوعي ، ذلك أن الصواب والخطأ ، والخير والشر ، والواجب والإلزام ، حالات جزئية مكتسبة وليست طبيعية عامة يُولد بها الإنسان .

ولكن « مل » استطاع أن يتخلص نتيجة لأزمته العاطفية والنفسية (١٨٢٦ - ١٨٣٢) من الفلسفة الإنجليزية القائمة على الحسية المادية ، وتأثر بالفلسفة الألمانية القائمة على النزعة الوجدانية ، فتطلع إلى الكمال الروحي ، واعتبره غاية السلوك الإنساني ، فالخير ينبغي أن يكون لذاته ، والشر مرفوض لذاته أيضاً . وهكذا يُمكنُ الفعلُ الخَيْرُ أن يحقق أكبر قدر من السعادة لأكثر عدد من الناس ، وتجنب الشر يزيد من فرص السعادة ، بغض النظر عن إعاقه مصلحة أو تحقيق أخرى ، وبغض النظر عن إثارة ألم أو إشباع لذة ، وتلك خلاصة اتجاهه المثالي ، ذلك الاتجاه الذي يوازن بين المصلحة

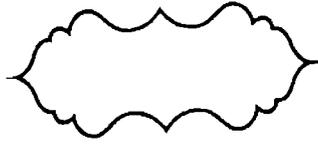
الشخصية ومصالح الآخرين ، تطبيقاً لمبدأ « المسيح » عليه السلام « أحب جارك كما تحب نفسك » .

وانطلاقاً من هذا التبادل النفعي في المصالح وفي الحب بين إنسان وآخر دافع « مل » عن المرأة بوصفها إنساناً ، تحقيقاً للمساواة بينها وبين الرجل ، على أساس أنها مساواة نفعية أيضاً ، فالحب والزواج والأمومة والرعاية والعمل ، أخذ وعطاء لا ينبغي أن يستفيد أحد أطرافها دون أن يفيد الآخر ، وهكذا جاء انتصار « مل » للمرأة ونضاله في سبيل تحريرها ، انتصاراً للحرية التي عشقها ودافع عنها حتى آخر العمر .

ولم يكتف « مل » بتطوير نفعية الإنجليز التقليدية ، بعد تطعيمها بمثالية الألمان الرومانتيكية ، وإنما طالب الإنسان المتحضر بالبطولة . والبطولة عنده هي التضحية في سبيل الآخرين دون تحقيق مصلحة شخصية أو منفعة ذاتية ، بحيث يمكن أن تصل هذه التضحية في درجاتها العليا والأسمى إلى الاستشهاد ، أفضل الفضائل جميعاً ، كما جاء في رسالة « محمد » عليه الصلاة والسلام .

ويرى « مل » في بطولته المنشودة أساساً لمشكلة الجبر والاختيار ، وحسماً لها ، فإذا كان « ديفيد هيوم » يقول إن الشعور بالحرية خداع ذاتي ، مؤكداً أن الإنسان مُجبرٌ وليس مُخيراً ، فإن « مل » اعترف بجبرية محدودة في مقابل حرية إرادة ، وإن كانت مقيدة ، مُفرِّقاً بين حرية السلوك وحرية

الرغبات ، فالسلوك يخضع للعادات ، في حين تخضع عاداتنا
لرغباتنا . وهكذا تجنب القول بالجبـر المطلق ، والقضاء والقدر
دون أن ينزلق في القول ببحرية الإرادة الكاملة ، فالإنسان يختار
بحرية في حالات كثيرة ، وخاصة عندما يميز بين الخير والشر ،
وهو ليس مجبراً في كل الأحوال ، وخاصة عندما يفاضل بين
أن يكون أو لا يكون ، وتلك هي فلسفة هذا المفكر « جون
ستيوارت مل » .





وليم جيمس..
وفلسفة الحياة

١٨٤٢ - ١٩١٠

وليم جيمس .. وفلسفة الحياة (١٨٤٢ - ١٩١٠)

في العشرين من عمره ، كَوّن وليم جيمس فلسفته في المنهج ، وأسس نظريته في المعرفة ، وسجل رأيه في الأخلاق ، ووضع مبادئ علم النفس ، وبعد سنوات أقام أول معمل لعلم النفس التجريبي ، حيث كان يدرس فيه علم النفس الفسيولوجي .

ولد جيمس في الحادي عشر من يناير عام ١٨٤٢ في أسرة متدينة وثرية ، كثيرة التنقل والإقامة في دول أوروبا ، مما اضطره إلى الالتحاق بمدارس لندن ، وباريس ، وبولونيا ، وجنيف ، حتى عاد إلى مسقط رأسه نيويورك حيث درس التشریح وعلم وظائف الأعضاء ، ثم الطب بجامعة هارفارد ..

وفيهما عُيِّنَ بعد حصوله على الدكتوراه مدرساً لعلم وظائف الأعضاء ، ثم للتاريخ الطبيعى ، ثم للتشريح المقارن ، ثم للفسيولوجيا ، فأستاذاً للفلسفة .

أصيب وليم جيمس بأزمات صحية ونفسية حادة ، منها : الوسوسة ، والوهم ، والشك ، والخشية ، والخوف ، إلى أن تزوج وهو فى السادسة والثلاثين ليشفى من أمراضه ، ويتفرغ لأبحاثه الفلسفية ، وإلقاء محاضراته وإصدار كتبه ، وأهمها « مبادئ علم النفس » ، و« أحاديث سيكولوجية » و« إرادة الاعتقاد » و« صنوف التجربة الدينية » ، و« براجماتزم » ، و« بعض مشاكل الفلسفة » و« مقالات فى التجريبية الأصيلة » و« الكون المتعدد » و« معنى الصدق » .

وظل جيمس يحاضر ويكتب ويقرأ حتى توفى فى السادس والعشرين من أغسطس عام ١٩١٠ ، وتقوم فلسفة جيمس النفعية أو البراجماتية على الجمع بين الفلسفة التجريبية والفلسفة العقلية ، لسد أوجه النقص فى كل منهما ، لأن الإنسان لايمكن أن يكون حساً خالصاً أو عقلاً خالصاً ، ولايمكن أن نفرض عليه الاختيار بين التجريبيين الذين يفكرون فى قضايا الدين والإيمان ، والعقلانيين الذين يؤمنون بالمبادئ الثابتة وحدها .

ولذلك يحدد جيمس فلسفته بأنها منهج وليست مذهباً ، وهو منهج ينتقل من البحث النظرى التأملى المجرى إلى البحث العلمى التجريبي المحدد . هذا البحث العلمى التجريبي هو الذى استخدمه فى بناء علم النفس ، وفى إخضاعه للتجارب العملية . وخاصة فيما يتعلق بعلم النفس الفسيولوجى .

المنهج النفعى إذن هو استخلاص كل ما هو نافع من المناهج والمذاهب والنظريات جميعاً ، واتباعه وتطبيقه بالعقل وبالتجارب ، فالإنسان فى حاجة إلى الأفكار المحسوسة مثلما هو فى حاجة إلى الحقائق الملموسة ، وعلى هذا فإن النفس أو الذات أو الروح ليست مشاعر وأحاسيس ومدارك فحسب ، فهى أعضاء وأجزاء وشرائين أيضاً ، ومن هنا التعامل معها بالعقل وبالعلم معاً ، أو بالفكر والمادة جميعاً .

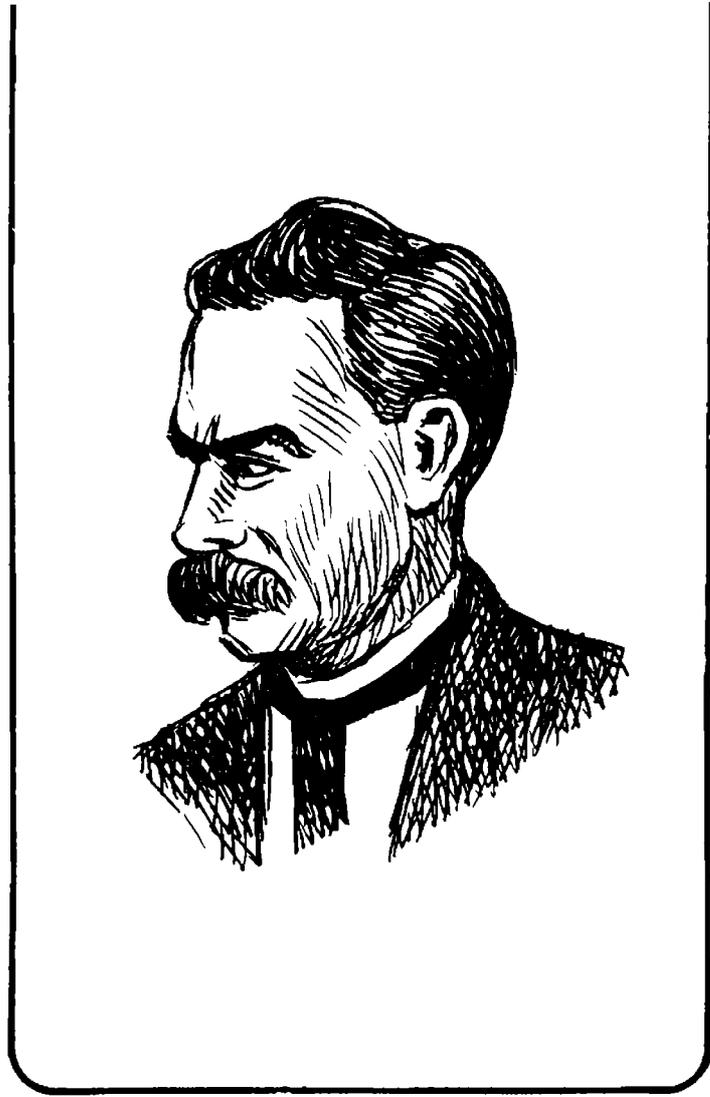
وقد يساء فهم البراجماتية أو النفعية ، فيظن أنها سلوك يستهدف المصلحة الشخصية والمصالح المادية ، ولكنها فى الحقيقة طريقة محكمة للمعرفة ، والحياة تقوم على الصدق العقلى واليقين العلمى ، إيماناً بهما معاً ، والاعتماد عليهما فى الوقت نفسه .

بهذا المنطق وعلى هذا النحو ، طبق وليم جيمس منهجه البراجماتى على الوجود والمعرفة والدين والأخلاق والإرادة

الإنسانية ، رافضاً في كل أبحاثه ودراساته المثول للاتجاه المثالي
- الألماني بخاصة - وتغليب الاتجاه الواقعي ، وإن لم يكن
واقعيًا بالمعنى الكامل والمباشر .

هذا في الوقت الذي يعد فيه ، وليم جيمس ، المصدر
الأول لفلسفة الواقعية الجديدة ، والواقعية النقدية ، في
عصرنا الحديث .





نيتشه ..
وفلسفة القوة

١٨٤٤ - ١٩٠٠

بروتستانتيتين ، فهو ابن لكاهن ، وحفيد لكاهن ، ومع هذا لم يكن متديناً على الإطلاق .

ونتيجة لعبقريته وجنونه في الوقت نفسه ، وضع نيتشه أربعة عشر مؤلفاً ، أبرزها : ميلاد المأساة من روح الموسيقى (١٨٧٢) . أمور إنسانية (١٨٧٨) . هكذا تكلم زرادشت (١٨٨٣) . بمغزل عن الخير والشر (١٨٨٥) . أصل نشأة الأخلاق (١٨٨٧) .. وأهمها : إرادة القوة (١٨٨٨) .

فهو يرى أن إرادة القوة هي أكثر الدوافع الإنسانية ، وأن ما يريده الإنسان هو أن يكون أقوى وأسمى من واقعه ومن الوجود كله ، بالتغلب على حالات اليأس والقهر والضعف التي تواجهه وتعرضه ، سعياً للوصول إلى الكمال ، ولأن يصبح خالقاً بدوره وليس مجرد مخلوق .

وبرغم عدم تدينه ، فإن نيتشه كان فيلسوفاً ومصيحاً أخلاقياً ، يدعو إلى تحرر الإنسان من الانتقام والعقاب والسيطرة أو الشر ، وصولاً إلى الخير ، ممثلاً في الفضائل والروحانيات ، والتسامي بالعواطف ، وإنجاز الأعمال العظيمة ، حتى « تصبح الحياة على الأرض جديرة بأن نحياها » . ويرى نيتشه أن كل نظام أخلاقي يستهدف الحد من

نيتشه .. وفلسفة القوة (١٨٤٤ - ١٩٠٠)

قبل حصوله على درجة الدكتوراه ، وعلى الجنيسة السويسرية ، عُين فريدريك نيتشه أستاذاً لفقهِ اللغة والآداب الكلاسيكية بجامعة بازل .. ولكنه سرعان ما ضاق بالتدريس ، ربما لأسباب صحية ، فقد ضعف بصره ووهن جسده ، وأصبحت تعاوده نوبات صداع حادة ، وآلام جسمانية متعددة ، ومع هذا كرس نفسه للكتابة حتى أصيب بانهيار عقلي وبدني قبل رحيله باثني عشر عاماً ، في الخامس والعشرين من أغسطس عام ١٩٠٠ ، وكان قد ولد قبل هذا التاريخ بست وخمسين سنة ، وبالتحديد في الخامس عشر من أكتوبر عام ١٨٤٤ ببلدة ريكن البروسية ، في أسرتين

الفوضى والانحلال ، لابد له من قواعد يضعها ، وقیود يفرضها ، وقوانين يطبقها ، برغم ما فى ذلك من تحكم واستبداد ضد الطبيعة والعقل .

والقيم العقلية والأخلاقية تقوم إذن على فكرة الحقيقة ، تلك الفكرة التى يرى نيتشه - على العكس من كل الفلاسفة السابقين علیه - أنها ليست مطلقة ، كما هو شائع حتى الآن ، لأنها جزء من الحياة ، والجزء لا يمكن أن يكون بأى حال مطلقاً ، وعلى هذا فإن تلك القيم لا يمكن أن تكون بدورها ثابتة ، لأنها تصبح متقلبة مع الحياة فى تغيرها وصورورها .

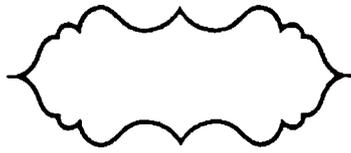
فإذا كانت الحقيقة خاضعة للنافع فى الحياة فإن وسائل المعرفة التى يستهدف بها بلوغ الحقيقة ، سوف تخضع بدورها للحياة . وهكذا يتضح أن أصل المعرفة والمنطق ، ليس هو الرغبة فى المعرفة خالصة أو المنطق مجرداً ، وما ينطبق على المعرفة والمنطق ينطبق بالتالى على كل مبادئهما .

ويؤدى نقد العقل ، على هذا النحو ، إلى نقد الميتافيزيقا فى الفلسفة التقليدية ، وخاصة فكرة الجوهر التى تضى على الكون صفة الثبات ، وتعكس على الإنسان موضوع الذات .. وهنا ينقض نيتشه على مقولة ديكارت « أنا أفكر ، إذن أنا موجود » وتتفق معه فى ذلك كل المذاهب الوضعية المنطقية الحديثة .

أحب نيتشه موسيقى « فاجنر » لما فيها من قوة ، وأعجب
بفلسفة « شوبنهاور » لتأكيدهما على الإرادة ، واستوحى منهما
معاً فكرته عن « قوة الإرادة » ، ومع هذا نَقَدَهُمَا
وهاجَمَهُمَا ، في محاولة واعية منه للتفوق عليهما .

أما هو فكان تأثيره واضحاً على الوجوديين والنفسانيين
والعشيين ، فضلاً عن شيلر ورلكه وشبنجلر وتوماس مان
ومالرو .

وكما كتب نيتشه في مطلع حياته « ميلاد المأساة من روح
الموسيقى » ليمجد فاجنر ، كتب ريتشارد شتراوس قصيداً
سيمفونياً عن « زارادشت » ليمجد نيتشه .. ذلك العبقرى
المجنون .





محمد عبده
وفلسفة الهداية

١٩٠٥ - ١٨٤٥

محمد عبده وفلسفة الهداية (١٨٤٥ - ١٩٠٥)

ولد في نفس اليوم وفي نفس الشهر اللذين توفي فيهما ،
الحادى عشر من يوليو ، والفرق بين سنة الميلاد ١٨٤٥ وسنة
الوفاة ١٩٠٥ ، ستون عاماً هي عمره العريض .

ابن عصره ، وطلبة جيله ، ورائد أمته ، شأن القائد
الملهم ، والعالم البصير ، والمتقف المستنير ، إنه الأستاذ الإمام
« محمد عبده » باعث نهضتنا ، ومصالح حياتنا ، ومثبت
عقيدتنا . ولد « محمد عبده » بقرية حصة شبشير بالغربية ، ثم
انتقل إلى قرية « محلة نصر » بالبحيرة .. علّمه والده القراءة
والكتابة بعد أن أعفاه من العمل في الحقل مع أخويه ، ثم عهد
به إلى أحد المشايخ ليحفظه القرآن الكريم ، فلما أتم حفظه بعد

سنتين ، عنى بتجويده فى المسجد الأحمدي ، وتزوج محمد عبده فى السادسة عشرة من عمره حتى لايشغل عن العلم والدين ، والتحق بالأزهر ، دون أن يهمل الحساب والهندسة والطبيعة والكيمياء ، وبصفة خاصة على يدى جمال الدين الأفغانى بمجرد وصوله إلى مصر .

أخذ الإمام محمد عبده يكتب فى الصحف والثورة الأولى على الأبواب . فقصر مقالاته على الدعوة إلى التعليم وإصلاحه ، حتى إنه طالب الزعيم أحمد عرابى بالاهتمام بالتربية والتعليم قبل التركيز على الثورة والسلطان ، فعلم الأمة هو الكفيل برد حقوقها والحفاظ على روحها ، فلما فشلت الثورة العرابية نفى إلى بيروت . فلم ينقطع عن التدريس ، وانتهاز الفرصة لبلورة آرائه فى إصلاح الأمة من منطلق التعليم ، حتى إنه اختلف مع أستاذه الأفغانى فى أسلوب التطبيق ، فبينما يرى الأفغانى خلاص الأمة فى السياسة والثورة ، لا يرى محمد عبده الإصلاح إلا فى التعليم ، ولا يثق فى إصلاح إلا به .

عمل محمد عبده مضطراً بالقضاء ، فتعلم - بحب - اللغة الفرنسية ، وقرأ بشغف كتب القانون ، ودرس بولع فلاسفة التشريع الغربيين ، ولكنه كان قد خلق للإصلاح عن طريق قاعات التعليم وصفحات الجرائد وليس داخل ساحات المحاكم ووزنانات السجون ، ولهذا ترك القضاء - برغم عدله فيه -

إلى المجتمع الأشمل بكل ما أوتي من عدالة له وانضم إلى الحزب
الوطني .

وقد كان هو حزب الأمة الوحيد الذي يحمل شعاراً قاطعاً
ونافذاً هو « مصر للمصريين » كما انضم إلى جماعة العروة
الوثقى بقيادة أستاذه الأفغانى ، والتي أصدرت جريدتها
« العروة الوثقى » فى باريس لهدفين محددين وقوميين هما :
محاربة الاستعمار بالقول والفعل ، أو بالحق والقوة ،
والحفاظ على الوحدة الوطنية بين مسلمى الأمة ومسيحييها .

فإذا كان الإمام الشيخ « محمد عبده » قد تميز بالرحمة
والعطف والإحسان كفضائل إنسانية واجتماعية ، وكان
مصلحاً أخلاقياً مثالياً يجمع بين الإيمان إلى حد التصوف ،
والعلم إلى حد العمل ، فقد كان فيلسوفاً إسلامياً يحيط
بالفلسفة الإلهية ، ويهتم بصفة خاصة بالبحث عن الوجود ،
فيتفق مع المعتزلة فى تحكيم العقل ، ويخالفهم فى فهم معنى
العلوم ، ويتفق مع المتصوفة فى الرياضة الفكرية ، ويخالفهم فى
مسألة الذوق والإلهام والوجدان ، ثم يتفق مع أرسطو فى أن
الإله هو المحرك الأول ، وهو أبدي لا أول ولا آخر ، ولكنه
يرى أيضاً أن الإله الحق هو الوجود الكامل المطلق ، لا يحده
زمان ، لأنه خالق الزمان ، وهو القادر سبحانه .



الكواكبي
وفلسفة الاصلاح

١٨٤٨ - ١٩٠٢

الكواكبي وفلسفة الإصلاح (١٨٤٨ - ١٩٠٢)

في الرابع عشر من يونية عام ١٩٠٢ توفي بالقاهرة « عبد الرحمن الكواكبي » الذي كان قد وُلد بحلب قبل هذا التاريخ بأربعة وخمسين عاماً . التحق بمدرسة أجداده « الكواكبية » للعلوم الشرعية ، وتعلم على يد والده .. اتجه إلى الكتابة في جريدة « الفرات » الأسبوعية وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وبعد خمس سنوات أنشأ جريدة « الشهباء » الأسبوعية التي تقرر إغلاقها بعد صدور عددها الثالث فقط . لم ييأس « الكواكبي » ، خاصة بعد أن رأس تحرير جريدة بديلة هي « الاعتدال » التي لقيت هي الأخرى المصير نفسه ، فاتجه « الكواكبي » إلى الوظائف العامة والمناصب الفخرية ، فعُرف بالجدية والنزاهة ، ثم عمل

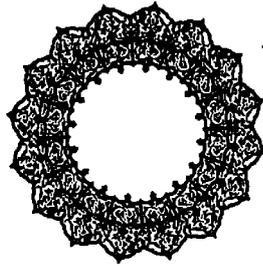
بالمُحاماة ، ولقب « بأبي الضعفاء » لدفاعه عن المظلومين - مسلمين كانوا أو مسيحيين أو يهوداً - بغير تعصب ، ومن منطلق « الوحدة الوطنية » ولكنه سُجِنَ أكثر من مرة ، وحكم عليه بالإعدام ثم بالعفو ، فضاقت بالاستبداد ورحل إلى مصر ليقول فيها بحرية كلمته الحرة على مدى السنوات الأربع الأخيرة من حياته القصيرة العريضة معاً .. كتب في جريدة « المؤيد » ، ونشر كتابه « طبائع الاستبداد » مندداً بحكم السلطان « عبد الحميد الثاني » و « أم القرى » منادياً بالقومية العربية، تحقيقاً ليقظة الأمة .

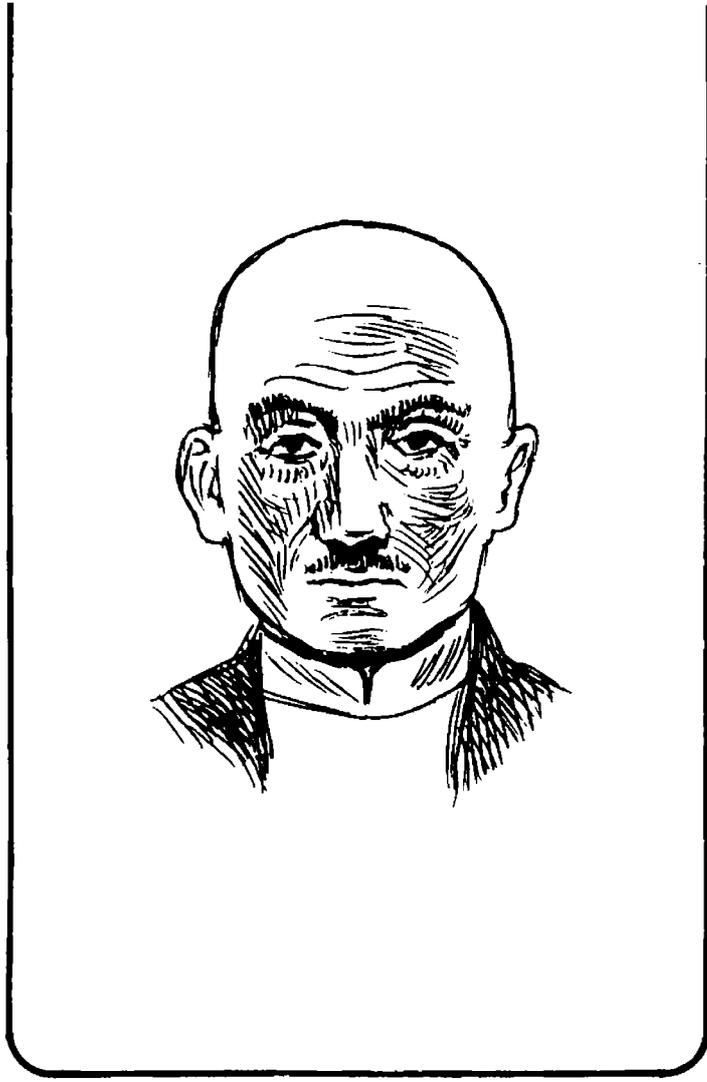
وهكذا يجيء « الكواكبي » بعد « الأفغانى » و « محمد عبده » ليستكمل مثلث ريادة الفكر الإسلامى ، وزعامة الإصلاح العربى ، فالكواكبي يدعو - وهو يفرق بين الشعوب الإسلامية والشعوب العربية - إلى إصلاح المسلمين دينياً واجتماعياً وسياسياً تمثلاً بعهد « الخلفاء الراشدين » ، وتمسكاً بتعاليم « الرسالة » و « الرسول الكريم » .. ويبدأ « الكواكبي » بتعليم وإرشاد وتثقيف المرأة جنباً إلى جنب الرجل ، تفادياً للانحلال ، وسبيلاً إلى الإصلاح ، مثلما نادى « محمد عبده » من قبل ، مختلفاً مع أستاذه « الأفغانى » الذى كان يركز اهتمامه على « العمل السياسى » من خلال « الكتابة الصحفية » فى جريدته « العروة الوثقى » .

وتفرد الكواكبي عن غيره من المصلحين في محاولة تشخيص داء تخلف الأمة لإمكان تحديد الدواء وتقرير العلاج ، وأول داء في رأيه عقيدة « القضاء والقدر » التي تفضي إلى الزهد والقناعة والتواكل ، وتقتل الإقدام والطموح والعظمة .. وداء آخر هو التعصب وعدم الاهتمام بمقولة « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » ، ثم داء الفقر الذي يقف في مواجهته فرض « الزكاة » كأساس لبناء الاشتراكية .. والاشتراكية التي دعا إليها « الكواكبي » مبكراً هي اشتراكية إسلامية ، تنبذ الاستبداد والعبودية ، وتقوم على الديمقراطية والحرية ، بحيث تصبح قادرة على إيقاظ الأمة الإسلامية ، بعد أن أسهم العثمانيون بقدر كبير في تدهورها .

وكما أكمل « الكواكبي » بعد « الأفغانى » و« محمد عبد » مثلث « الإصلاح الاجتماعى » نراه يكمل مثلث « الإصلاح السياسى » بعد « ابن خلدون » و« الطهطاوى » ، فهو مثلهما يندد بالحاكم الديكتاتور ، سواء كان وارثاً لعرش ، أو قائداً لجيش ، أو رئيساً لحزب .. كما يندد بالحكومة المطلقة التي لا تطبق مبدأ « الشورى » ، ولا تلتقى بالأمر للمعارض . وهو إذ يسعى إلى إرساء مبادئ العدل والحق والإخاء والمساواة ضد قوانين الاحتكار وإطلاق الملكيات إنما يأمل في إعلاء شأن الإنسان ، مواطناً أو مقيماً ، دون تفرقة

أو تتميز بالعزة والكرامة والفضيلة والشرف ، إيماناً منه بأن الشرق هو مهد الحضارات ومهبط الأديان .. حقاً لقد جاد الزمان بشخصية « الكواكبي » على الأمة العربية ، فجاد عليها « الكواكبي » بفكره سلاماً وحرية وأماناً .





برجسون
وفلسفة الحرية

١٨٥٩ - ١٩٤١

برجسون وفلسفة الحرية (١٨٥٩ - ١٩٤١)

فى الرابع عشر من يناير عام ١٩٤١ رحل الفيلسوف الفرنسى « هنرى برجسون » ، الذى ولد بباريس فى الثامن عشر من أكتوبر عام ١٨٥٩ من أب فرنسى وأم إنجليزية .. تلقى برجسون دراسته فى اللبسىه ، ثم تلقى ثقافته فى مدرسة المعلمين العليا ، ومن هنا برز اهتمامه بالفلسفة والأدب اليونانى ، برغم تفوقه فى الرياضيات .. حصل على الأجرىجاسيون عام ١٨٨١ ، وعُين أستاذاً للفلسفة باللبسىه ، ثم بمدرسة المعلمين العليا .. انتخب فى عام ١٩٠١ عضواً بأكاديمية العلوم الأخلاقية واللبسىه ، ثم عضواً بالأكاديمية الفرنسية .. رأس لجنة التعاون الفكرى التابعة لهيئة الأمم

المتحدة عقب تكوينها ، وحصل على جائزة نوبل في الآداب
عام ١٩٢٨ .

لم ينكر « برجسون » تأثيره بالفلاسفة الذين سبقوه :
« أفلاطون » و « سبينوزا » و « شوبنهاور » و « لوك »
و « هيوم » و « مل » و « بركلي » ، ولهذا استطاع أن يجمع
« ثقافة الإنسانية الفلسفية » جمعاء ، وإن تَمَرَّدَ على المذاهب
المثالية المطلقة ، مما دعا « سارتر » - فيما بعد - إلى إقامة
مذهبه « الوجودى » على « البرجسونية » أو فلسفة « الإنسان
والزمان والحرية » وعلاقة كل منها بالديومة .. فقد ظل
« برجسون » قلقاً على مصير الإنسان ، ولهذا عمل على
الكشف عن نسيج وجوده وطبيعة صلته بالجسم والمادة ،
والمكانة التي يحتلها في عالم المخلوقات ، وموقفه من التاريخ
القديم والحضارة الحديثة .. ووجد « برجسون » أن الفلاسفة
قد خلطوا بين المكان والزمان ، ولهذا عرف الزمان بأنه جوهر
الوجود . وتساءل عن مصير الإنسانية - بعد اندلاع الحرب
العالمية الأولى - واثقاً في انتصار القيم الروحية ، ضد قوى
الشر والانحلال ، ودعاة المادية والآلية ، وأنصار البغى والظلم
والعدوان .. وهذا ما بدا جلياً في كتابه « الطاقة الروحية » ..
وهنا قرر أن « الديومة » هي نسيج الحياة ، ومن خلالها
يستطيع الإنسان أن يقول : « أنا أحياء في الزمان إذن فأنا

موجود» .. فإذا قلنا إن الأفلاطونية هي فلسفة المُثل ،
والديكارتية هي فلسفة الجَوْهر ، فإن البرجسونية هي فلسفة
الديمومة ، وهذا ما ظهر في كتابه « الديمومة والتأني » ..
واكتمل مذهبه عندما طلع عام ١٩٣٢ بكتابه الضخم
« ينبوعا الأخلاق والدين » ، وهو دعوة للتصوف بعد أن
اعتنق المسيحية الكاثوليكية ، وكان قد عاش حياته يهودياً غير
متدين .

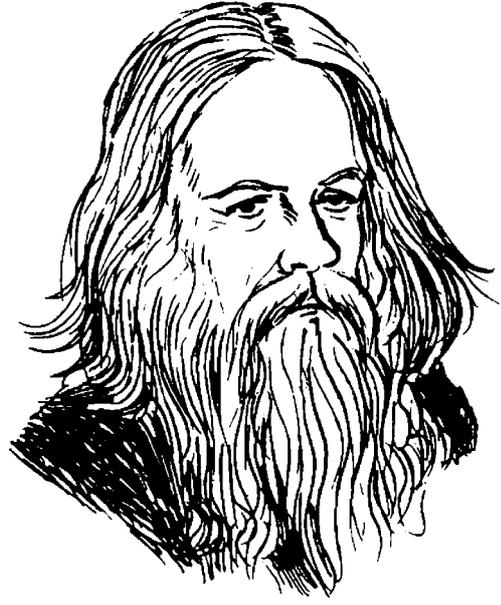
أما منهج « برجسون » فهو البحث عن « الحَدَس » أو ما
أسماه « باسكال » بالقلب .. وقد حرص « برجسون » على
التأكيد بأن حَدَسَه هو أقرب إلى التفكير العقلي الشاق منه إلى
العاطفة الحسية المجردة .. وهذا ما فسره في كتابيه « المادة
والذاكرة » و« الفكر والتحرك » .. بهذا المنهج حقق نظريته
في « الديمومة » حتى إن « حدس الديمومة » عنده أصبح هو
المحور الذي تدور حوله كل الفلسفة البرجسونية .. هذه
النظرية وتلك الفلسفة تقودنا إلى « مشكلة الحرية » التي
أثارها « برجسون » بعد أن أكد على « الأنا » أو « الذات »
التي تحيا في « الزمان » ، فالحرية عنده واقعة أولية ، وأن
الفعل الحر بداية مطلقة ، وأن تلقائية الفعل الإرادي هي خير
دليل على الحرية .

كما أن خير دليل على وجود الحركة هو التحرك نفسه ..

فالحرية ليست هي القدرة على الاختيار ، ولكنها النزوع إلى
الاختيار المركب من العواطف .

وقد ظلت دراسات « برجسون » منحصرة في نطاق علم
النفس إلى أن شملت في النهاية علم الحياة ، وعلم الكون ،
والعلم الإلهي .. فهو يرى أن « الوجود » بالنسبة إلى الكائن
الواعي إنما هو التغيير ، والتغير معناه النمو أو النضج ، والنضج
هو أن يخلق الموجود ذاته بلا انقطاع . وهذه هي مرة أخرى
« الديمومة » أو « الصيرورة » التي تشمل « الفعل »
و« الشعور » و« الذاكرة » ، الذاكرة التي هي جوهر
وجودنا ، لأنها امتداد الماضي في الحاضر ، وهي التطور أو
معنى الحياة من خلال ذلك الصراع المستمر بين الحياة
والمادة .. أما خالق الحياة فهو الإله الذي يستخرج الوجود من
اللاوجود ، ويخلق « العالم » من « العدم » ، وتلك هي فكرة
« القدرة الإلهية المطلقة » التي توصل إليها « برجسون » في
نهاية المطاف .





طاغور
وفلسفة الحب

١٨٦١ - ١٩٤١

طاغور وفلسفة الحب (١٨٦١ - ١٩٤١)

في السادس من مايو عام ١٨٦١ ولد « رابندرانات طاغور » بكلكتا ، سليلاً لأسرة هندية من عِليّة القوم ، وأب كان زعيماً روحياً هو « ماهرشي ديفندرانات » .. كتب « رابندرانات » المقالات ونظم الشعر وهو في الثامنة عشرة ، ووصلت مؤلفاته إلى أكثر من مائة وعشرين كتاباً ، بين قصة ورواية ، ومسرحية ، وديوان ، فضلاً عن عدد كبير من الصور الزيتية عرضت في أهم عواصم العالم ، وثلاثة آلاف أغنية من تلحينه ، أبرزها نشيد الهند القومي .. أطلق عليه « غاندى » اسم « حارس الهند العظيم » ، كما أطلق عليه « نهرو » اسم .. إنسان الهند العظيم .. وتقديرًا لأعماله بما فيها من فكر وفن منح عام ١٩١٣ جائزة نوبل للآداب .. ولكنه

فقد في فترة قصيرة متتابعة زوجته ، وابنته الكبرى ، وابنه الأصغر ، ووالده .. وتوفي « رابندرانات » في السابع من أغسطس عام ١٩٤١ عن ثمانين عاماً .

قال عنه الشاعر البولندي « جانكوسكى » : إن طاغور واحد من القلة التي وهبت أعماق الصلوات بالله والحق والحقيقة المطلقة ، إنه يمضى في الطريق إلى الله ، وإنه لأقرب الناس إلى حقيقته سبحانه . حقاً ، فقد كان « طاغور » يحلم بقيام العالمية الحقيقية ، لأن الحياة في رأيه عيد كبير تسهم فيه كل أمة بإضاءة مصباحها في سبيل تطور المعرفة الإنسانية ، وتقدم الإنسان .. ولأن الفرد هو أساس المجموع ، فقد نادى « طاغور » بحرية الفرد منطلقاً للحرية الجماعية .. ولذلك كان دائماً ضد تقسيم الإنسان إلى طبقات - برغم ثرائه - بسبب المال ، أو الحسب ، أو الدين ، أو اللون ، ففي رأيه أنه ليس هناك إلا تاريخ واحد هو تاريخ الإنسان .

كان « طاغور » مريباً فاضلاً ، أنشأ المدارس النموذجية وأطلق فيها حرية التلاميذ والأساتذة .. وتتلخص فلسفته التربوية في الحرية ، والتعبير الذاتي الخلاق ، والاتصال بالطبيعة ، والارتباط المباشر بالمجتمع .. كما تتلخص فلسفته الحياتية - وهو المصلح الملتزم الذي نادى بالعدالة الاجتماعية - في أن الهدف الأوحد للحياة هو أن يسعى الإنسان نحو المعرفة

وتحقيق الذات .. وكذلك تتلخص فلسفته الإنسانية في دعوته إلى السلام ونشر المحبة بين الناس ، وخاصة الفقراء منهم ، أو « أطفال الله الكبار » كما كان يسميهم .

أما فلسفة « طاغور » بشكل عام فقد كانت قائمة كلها على الحب ، قانون النفس العليا الذى يعانق الوجود كله ، وجود العالم فى الإنسان ، ووجود الإنسان فى العالم ، إذ يصبح الحب البشرى معبراً إلى الحب الإلهى .. فالحب هو المعنى الأسمى لكل ما يحيط بنا .. فإذا كان نور الشمس يفتح باب الكون ، فإن نور الحب يفتح كنوز العالم ، ولذلك علينا أن نحب لكى نعمل ، وعلينا أن نعمل لكى نحب .. فالإيمان بالحب لايزعزعه ما قد يجلبه الحب من جراح وآلام ، لأن الحب هو بداية المعرفة ، كما أن النار هى بداية النور .. وحب « طاغور » يتجه إلى الإنسان والحيوان والنبات والطبيعة والحياة والموت ، حُبُّ جَوْهَرُهُ البراءة والبساطة اللتان تجعلان الطيور وأوراق الشجر تبدوان قريبتين من قلبه قربهما من قلوب الأطفال .. وهو حب إلهى وإنسانى معاً ، ذلك أن المستشرف الأعلى وقد تجلى فى الإنسان ، فأصبح للإنسان قداسته .. وأصبح طبيعياً أن تحمل كلمة « طاغور » الأخيرة هذا المعنى الصوفى ، إذ قال « أبدأ رحلتى خلو اليدين ، ولكن بقلب مفعم بالرجاء ، فأنا على يقين أنى سأحب الموت كما أحببت الحياة . »



قاسم أمين
وفلسفة القانون

١٨٦٣ - ١٩٠٨

قاسم أمين وفلسفة القانون (١٨٦٣ - ١٩٠٨)

في الثالث والعشرين من أبريل ١٩٠٨ توفي « قاسم أمين » عن خمسة وأربعين عاماً ، فقد ولد في أول ديسمبر ١٨٦٣ بالإسكندرية برغم أصله التركي ، فوالده كان « أميرالايا » بالجيش ، أما أمه فكانت مصرية . أمضى طفولته في إستنبول ، ولكنه عاد إلى الإسكندرية ، ومنها إلى القاهرة ليلتحق بالمدرسة الخديوية ، ثم بمدرسة الحقوق التي تخرج فيها عام ١٨٨١ ، وكان أول دفعته ، فسافر في بعثة إلى فرنسا ، وعاد بعدها ليعين في سلك القضاء ، ويصل وهو في الحادية والثلاثين إلى منصب المستشار .

كان « قاسم أمين » هائماً يبحث عن الروح لا عن المادة

في الحب وفي الحياة ، ومن هنا كان تطبيقه لروح القانون دون نصوصه الجافة ، بغير تحايل ولا تخريجات ، منطلقاً دائماً من روح الشريعة الإسلامية في تطبيق الأحكام التي اتسمت عنده بالتسامح والرفقة والغفران ، ومناصرة الضعفاء والمظلومين ، وتغليب الفضيلة على الرذيلة ، والخير على الشر . فكان بذلك مُحَلِّلاً نفسياً ومصلحاً اجتماعياً ، وليس مجرد قاضٍ يطبق أحكام القانون ، فهو يرى أن القانون ما وضع لزيادة المجرمين مجرمات ، وإنما لإنقاصهم مجرمات ، وإغلاق باب زنزارة .. ومن أحكامه الشهيرة تبرئة « عبدالله النديم » المكافح الوطني بعد محاكمة استمرت تسع سنوات كاملة ، ومن هنا ظهرت وطنية « قاسم أمين » ساطعة جلية .

فالوطنية - عند قاسم أمين - أقدس من أن تدنس بطمع الجشعين ، وانتهاز المتقلبين ، هي دين جديد علينا أن نؤمن به ونعمل من أجله لا من أجل أنفسنا ، فلذمة المرء ليست في جمع المال ولا في تسلق المنصب ، ولكن اللذة الحقيقية هي في أن يكون المرء قوة عاملة من أجل الوطن .

وقد ناصر « قاسم أمين » وأيد الدعوة إلى « الجامعة الإسلامية » التي كان جمال الدين الأفغاني ، و« محمد عبده » من أكبر دعائها ، كما ناصر وأيد الدعوة إلى الوحدة الإسلامية التي كان سعد زغلول ومصطفى كامل من أكبر دعائها .

ولهذا أسس الجمعية الخيرية الإسلامية بدرب الجمايز ، أما آخر ما فعله فهو خطابه الذى ألقاه قبل وفاته بأسبوع واحد يوضح فيه فكرة « الجامعة المصرية » التى عمل على إنشائها ، وافتتحت بالفعل فى العام نفسه .

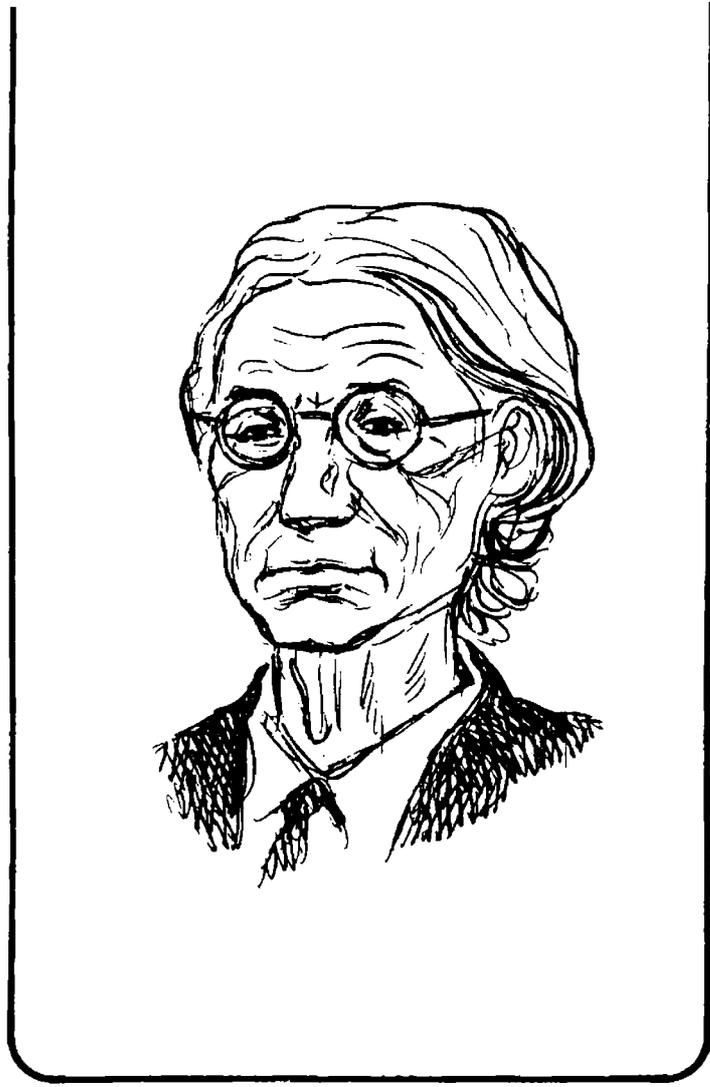
قبل أن يضع « قاسم أمين » كتابه الشهير « تحرير المرأة » كان قد وضع كتاباً آخر يرد فيه على مزاعم « الدوق داركور » وانتقاداته لمظاهر الحياة المصرية .. ولكنه عاد ليفيد من ملاحظات الدوق وهو يكتب مقالاته الإصلاحية فى « المؤيد » ، وخاصة فيما يتعلق بتعليم الفتاة وخروجها إلى العمل ، والاكتفاء بالحجاب الشرعى ، وإن كان « رفاة الطهطاوى » قد سبقه إلى المناداة بتعليم الفتاة ، كما سبقه « محمد عبده » إلى المطالبة بمساواة المرأة بالرجل ، ومع هذا لم يدعُ « قاسم أمين » إلى خروج المرأة إلى ميدان العمل إلا فى حالات الضرورة ، وفى وظيفة شريفة .

ويخطئ من يظن أن « قاسم أمين » قد دعا إلى « سفور المرأة » فقد اكتفى بتخفيف الحجاب فى حدود ما اتفق عليه الأئمة ، وهو سفور الوجه واليدين .. فكيف تقبل المرأة زوجاً لها ، وكيف تبيع أملاكها ، وكيف تزاول عملاً تعيش منه ، تجارة أو زراعة أو صناعة ، وهى مغلقة من رأسها إلى قدميها ، لاتقدر على التحرك فى قيدها !؟

ولاشك أن المرأة التي تحافظ على شرفها وهي مطلقة غير محجبة لها من الفضل أضعاف ما لزميلتها ، لأن عففتها اختيارية وليست قهرية .. وعلى هذا لا يصبح طبيعياً أن نفتخر بعفة نسائنا وهن سجينات ، مع أن السجن وحده لا يمنع المرأة - إذا أرادت - من فقدان هذه العفة .. والغريب بعد ذلك - كما يقول قاسم أمين - أنه لا يوجد فينا رجل يثق بامرأة .

أثار « تحرير المرأة » ضجة كبيرة وهُوِجِمَ « محرر المرأة » هجوماً عنيفاً .. وقد ظهرت كتب عديدة خرجت تتهمه بالمروق من الدين وتحريض النساء على الفساد ، كتاب واحد أنصفه لطلعت حرب ، وكتاب المرأة الجديدة الذى رد فيه على أعدائه .

وكما أراد « قاسم أمين » أن يحمر المرأة من قيودها المتزمتة ، حرر أسلوب الكتابة من قيوده المفتعلة .. وكما ترك « مصطفى كامل » من بعده « محمد فريد » ليواصل رسالته الوطنية ترك « قاسم أمين » من بعده « هدى شعراوى » لتكمل رسالته الإصلاحية .



بیرتراند راسل
وفلسفة السلام

١٨٧٢ - ١٩٧٠

برتراند راسل وفلسفة السلام (١٨٧٢ - ١٩٧٠)

الفيلسوف البريطاني « برتراند أرثر وليم إيرال راسل الثالث » توفي في الثاني من فبراير عام ١٩٧٠ ، وكان قد ولد عام ١٨٧٢ ، أي أنه قارب مائة عام من حياة أتاحت له أن يكون شيخ الفلاسفة بحق ، وانقطاع خالص للفكر سمح له بأن يكون عالماً ومفكراً وفيلسوفاً وسياسياً في آن واحد .. مات أبواه كلاهما ولما يبلغ الرابعة من عمره ، وتولت تربيته جدته لأمه ، وهي ليدي راسل . وكان أبوه عضواً في البرلمان ، وصديقاً للفيلسوف « جون ستيوارت مل » الذي كان بمثابة الأب في العماد لبرتراند ، فتعلم منه بعض الآراء التي كانت تصدم الناس في ذلك الوقت ، ومنها « حق المرأة في الانتخاب ، وتحديد النسل » .

واهتم راسل في دراسته بالتاريخ الإنجليزي ، وصراع الشعب ضد الملك للحصول على الحرية الدستورية ، وبنظريات إقليدس الهندسية ومعارضتها . أما في الأدب فلم يُعجب إلا بشعر « شيلي » . والتحق « راسل » بجامعة كمبردج ، وتلمذ على يدي « وايتهد » وما إن تخرج من الجامعة عام ١٨٩٤ حتى عمل ملحقاً بالسفارة البريطانية بباريس ، تزوج في العام التالي من أمريكية فلادلفية ، وعاشا فترة في مقاطعة « سكس » داخل كوخ متفرغاً لدراسة الفلسفة والرياضة والاقتصاد والسياسة والتاريخ أيضاً ، فقد كان يملك من المال ما يغنيه عن الوظيفة بقيودها وأعبائها . زار روسيا عام ١٩٢٠ فعاد ثائراً على « الشيوعية » وإن كان قد تعلم من زيارته للصين الإيمان بالمستقبل .

من أهم ما استحدثه « راسل » فلسفة العلم ، وبصفة خاصة « الفلسفة الرياضية » ، فإذا كانت الرياضة تستخدم الرموز والعلامات فإن الفلسفة الرياضية هي تحليل هذه الرموز وتلك العلامات ، وتحليل « العدد » أمر حديث العهد في التاريخ ، تماماً مثل الصفر الذي لم يعرفه قدماء اليونان والرومان وإن عرفه قدماء العرب ، وهذا يبين أن الرياضة استمرار للمنطق . وهكذا برز كتابه الضخم « مبادئ الرياضة » وبجته عن « الرياضيات وما وراء الطبيعة » ،

وتلخيصه لنظرية أينشتاين في « ألف باء النسبية » ثم « المدخل إلى الفلسفة الرياضية » وتحليل المادة .

تعددت مؤلفات « راسل » في الفلسفة العقلية فأصدر « مجمل الفلسفة » وتحليل العقل والمنطق والمعرفة ، وبحث في معنى الحقيقة والمعرفة الإنسانية ومشاكل الفلسفة ، ثم تاريخ الفلسفة الغربية والتصوف والمنطق .

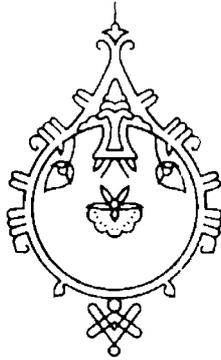
وتدور كل هذه المؤلفات حول عقل الإنسان وقدرته على إدراك ظواهر الوجود ، وقد قرب « راسل » هذه المشاكل الفلسفية المعقدة حتى إلى مفهوم رجل الشارع العادي .

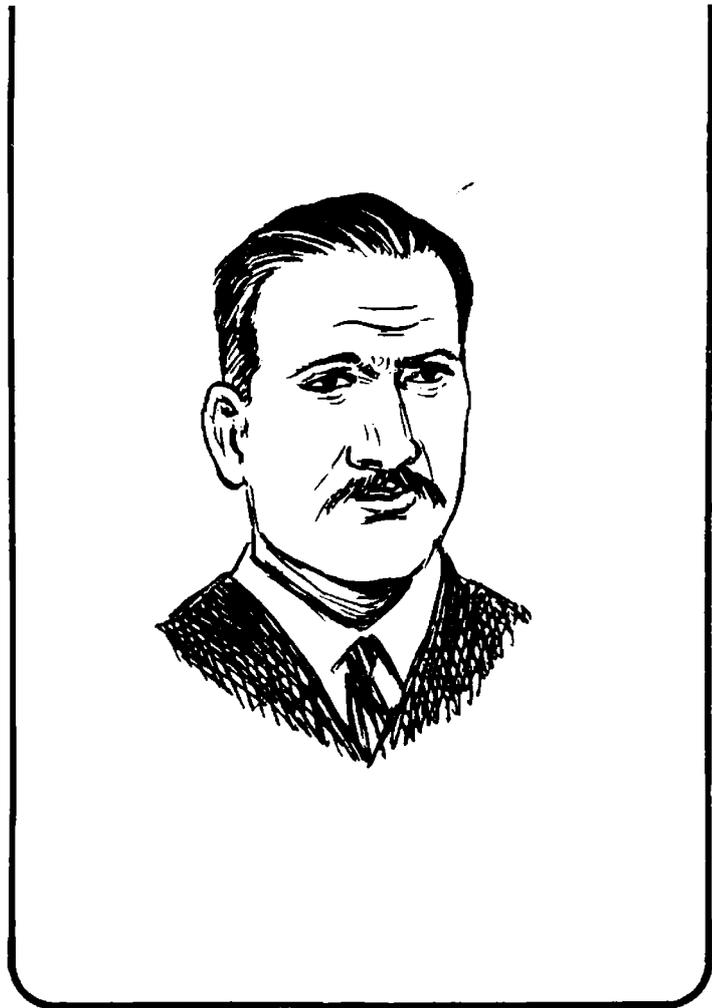
أما ما عرف رجل الشارع براسل فهي مواقفه التي حمل فيها مسئولية الفكر والكلمة ، ودفع فيها ضريبتها ، فقد ترك مجلس اللوردات إلى غياهب السجن ، وجرّد من لقب اللورد وعزل من الجامعة ، وعقد مؤتمراً اشترك فيه الآلاف من العلماء والأدباء المناهضة للتجارب الذرية ، وتحذير الحكومات من الدمار الذي ينتظر العالم ، وقد كتب نداء وقع عليه « أينشتاين » لأنه البديل ، وهو الحل ، وهكذا كتب « آمال جديدة » لعالم متغير . ولعل أشهر مواقفه هي تلك التي انصبت في « محكمة راسل » التي عقدها عام ١٩٦٦ برئاسة « سارتر » لإدانة الحرب الفيتنامية ، ومحكمة مرتكبي

جرائمها من رؤساء وحكومات . وكانت هذه « المحكمة »
هى ثمرة المؤسسة العالمية للسلام التى أنشأها عام ١٩٦٣ على
نفقته الخاصة ، وكذلك إدانته للعدوان الثلاثى على مصر عام
١٩٥٦ ، وخطابه لكل من خروشوف وأيزنهاور عام ١٩٥٨
دفاعاً عن السلام العالمى .

حصل « راسل » على جائزة نوبل عام ١٩٥٠ اعترافاً
بفضله على الإنسانية ، وإسهامه فى رسالة العدالة والحرية
والتسامح والسلام .

وقد رثى « راسل » نفسه بقوله : « بموت راسل انقطعت
حلقة تربط حاضرننا بالماضى البعيد ، ولكن ما من مفكر
صائب الرأى يستطيع أن يعترف بأن الذين ماتوا دفاعاً عن
الحق فى الكفاح الهائل قد ماتوا عبثاً » .





إقبال
والفلسفة الصوفية

١٨٧٢ - ١٩٢٨

إقبال والفلسفة الصوفية (١٨٧٣ - ١٩٣٨)

فجعت الهند والعالم الإسلامي بأسره ، في موت فيلسوف الصوفية وصوفي الفلاسفة الشاعر « محمد إقبال » عن خمسة وستين عاماً ، في الحادى والعشرين من أبريل عام ١٩٣٨ بالتحديد ... وكان « إقبال » قد ولد عام ١٨٧٣ في مدينة سيالكوت الهندية ، ثم نال ليسانس الفلسفة من جامعة لاهور التى نصب للتدريس بها ، كما نال الدكتوراه من جامعة كمبردج فى فلسفة الأخلاق ، فضلاً عن إجادته للغة الألمانية التى تعلمها فى ألمانيا ، ودراسته للقانون ، ثم عمله بالمحاماة طوال حياته .. ومع هذا لم يكف عن نظم الشعر والتعريف بالفلسفة الإسلامية .

دعا « إقبال » إلى تجديد الفكر الدينى الإسلامى ، فجعل

الفلسفة قلب دعوته ، والشعر قلبها ، والتصوف روحها
الخفاق .

كُلُّ شَعْبٍ قَامَ بَيْنِي نَهْضَةً
وَأَرَى بُنْيَانَكُمْ مُنْقَسِمًا
فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ كُنْتُمْ أُمَّةً
لَهَفَ نَفْسِي كَيْفَ صِرْتُمْ أُمَّمًا؟!

وأصدر « إقبال » تسعة دواوين باللغتين : الفارسية
والأردية ، أبرزها جميعاً ديوانه الأول « أسرار خودى » أو
« أسرار الذات » .. وفكرته عن « الذات » هى المحور الذى
ترتكز عليه فلسفته ، والذى يدور فى فلكه إنتاجه كله ، شعراً
كان أو أدبياً ، تصوفاً أو فلسفة ، اجتماعاً أو سياسة ، علماً أو
حتى فى القانون .. ولعله أفاد من نظرية الألمانى « نيتشه » فى
« الإنسان الكامل » وآراء الفرنسى « برجسون » فى « منبع
الأخلاق والدين » وخطرات ونفحات الفارسى « جلال
الدين الرومى » فى « الصوفية » .

هى فلسفة أمل وعمل ، وكرامة وحرية .. فأقبال يدعو
إلى إثبات الذات لانفها ، وتفجير كل ما فيها من قوى إيجابية
تحلقة ، قادرة على أن تحقق لها الحرية والاستقلال ، مع أن
الذات لا تتحقق إلا فى الجماعة التى تنتظم الأفراد وتمكنهم من
بلوغ الكمال .

لقد استطاع « إقبال » أن يقيم العلاقة بين الله والإنسان .. فإذا كانت ذات الله هي الذات الكاملة التي لا تشبهها ذات أخرى على الإطلاق ، كان المثل الأعلى أمام الإنسان هو أن يتخلق بأخلاق الله ، وأن يسود الأرض التي سخرها له الله ، لأنه خليفة الله في الأرض .

أما ذات الإنسان فتكمل أو تنقص بمقدار قربها أو بُعدها عن ذات الله ، قرباً لا يفنى الذات الإنسانية في الذات الإلهية ، كما تؤمن بعض المذاهب الصوفية ، ولكنه قرب صوفي يؤمن بالثبوت والبقاء ، كما يؤمن بأن العالم مظهر لجمال الله وحكمته وإرادته .. فالعالم ليس خطيئة ، إنما هو أداة لامتحان الذات ، معيار كل شيء ، الخير والشر ، والجمال والقبح ، والحق والباطل .

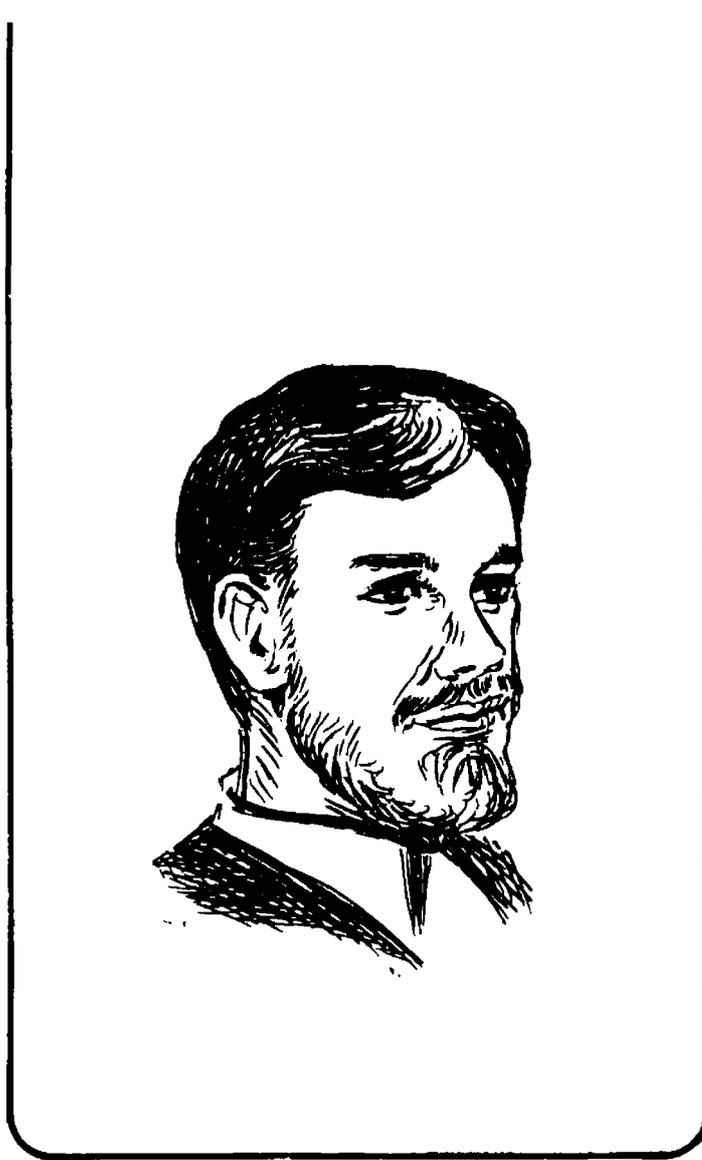
وعلى هذا يعارض « إقبال » الذين يدعون أن عالم المادة وَهْمٌ باطل وضلال مبین .. فيكفي عالم المادة أنه من خلق الله ، شأنه شأن العوالم الأخرى غير المادية ، وأبرزها جميعاً عالم الروح .

هذه الفلسفة هي في حقيقتها فلسفة إسلامية خالصة ، استوحاها « إقبال » من تعاليم الإسلام ومن سيرة النبي الكريم ، الذي حقق ذاته بحيث أصبحت أكمل الذوات

وأكثرها قرباً من ذات الله .. وعظمة ذات النبي هي في أنه « خاتم النبيين » .. وفكرة « ختام النبوة » من أعظم الأفكار في تعاليم الإسلام ، لأن النبوة ببلوغها الكمال الأعظم تلغي النبوة نفسها ، لإدراكها استحالة اعتماد الوجود إلى الأبد على فرد يقوده .. وهكذا يبطل الإسلام الرهينة ويدعو إلى مناقشة العقل والاعتماد على وسائله ..

على المسلم إذن أن يصل حاضره بماضيه ، وأن يعيد بناء حياته الفكرية والاجتماعية في ضوء تعاليم الإسلام .. ويتابع التطور ويلاحق التجدد ليواكب العصر .. وهي رسالة عزة وتفائل يوجهها شاعر الجمال والجلال ، وفيلسوف السلام والإسلام « محمد إقبال » ، الذي أحس الحياة فأخضعها وقهرها ، وأحس ما بعد الحياة فاستقبله وتقبله :

إني مسلمٌ لا أرهبُ الموتَ
إذا جاءَ الموتُ لقيته مبتسماً



لورانس
وفلسفة الفن

١٨٨٥ - ١٩٣٠

لورانس وفلسفة الفن (١٨٨٥ - ١٩٣٠)

فى الثانى من مارس عام ١٩٣٠ رحل « ديفيد هربرت لورانس » الذى ولد عام ١٨٨٥ فى إحدى قرى نوتنجهام بإنجلترا . تأثر « لورانس » بنشأته الفقيرة المتواضعة وسط عمال المناجم الذين كان والده واحداً منهم ، فعبر عن هذا الجو ودافع عنه فى رسائله ورواياته ، كما تأثر باتجاه « فرويد » فى التحليل النفسى ، ولهذا تميزت رواياته بالتحليل الدقيق لنوازع الإنسانية وغرائزها الطبيعية الصادقة التى كاد المجتمع الصناعى يقضى عليها .

ولكنه جاهد قبل ذلك ليتعلم ويفوز بجائزة دراسية أتاحت له فرصة الالتحاق بالجامعة ، وبعد التخرج دأبته الأحداث ، فأصيب بالتهاب رئوى ، وصُدم فى موت أمه ، حتى إنه فكر فى

الانتحار ، وتزوج من سيدة ألمانية يسرت أمامه سبل الحياة الخاصة وإن تسببت في ازدياد مواطنيه له أثناء الحرب العالمية الأولى ، على اعتبار أنها من جنس الأعداء ، أما هو فلم يشترك في الحرب ، لأنه كان يمقتها ويقول : « هذه الحضارة تنهار بعد ألفى عام ، وهذه حضارة الموت والتخريف » . وكان يعجب لهؤلاء الأحياء الذين يطلبون الموت ، والأجدر بهم أن يطلبوا الحياة . ويقول : « لا بد أن أوروبا تنتحر وتموت » . وفي أعقاب الحرب هجر بلاده إلى الأبد ، هجرها إلى إيطاليا ، ثم إلى أستراليا والمكسيك حتى عاد إلى أوروبا الفتية برغم ما أصابها من شيخوخة مبكرة .

أما مفتاح شخصية « لورانس » ففي أعماله العدائية التي تكاد تكون ترجمة كاملة لهذا الروائي عليل الجسم والروح : « أبناء وعشاق » ١٩١٣ ، و « قوس قزح » ١٩١٥ و « نساء عاشقات » ١٩٢١ ، و « عشيق الليدى تشاترلى » ١٩٢٨ .

ولورانس لم يكن مثل غيره من الأدباء أديباً فحسب ، ولكنه كان أيضاً صاحب سيرة ، أى أنه كتب فملأت شهرته الآفاق ، وعاش فملأت سيرته الحياة ، ومن هنا برز كواحد من أعظم كتّاب الرواية على مر العصور ، لأنه كان أيضاً صاحب نظرية وصاحب رسالة . وتتلخص نظرية لورانس في أن : « كل ما هو ذاتي الحياة هو ذاتي » تلك العبارة الموجزة هي التي تفرق بين

الأديب بشكل عام ، والروائي بشكل خاص ، وكل من رجل الدين الذى يتحدث عن الأرواح - حتى فى السماء - والفيلسوف الذى يفكر فى اللانهاية ، والنفس الخالصة المدركة لكل شىء ، والعالم الذى يضع الإنسان تحت المجهر ولا يراه إلا مجموعة أجزاء .

رجل الدين يرغب فى تقديم نفسه كغذاء روحى للجماهير ، والفيلسوف لا يرى الوجود إلا كلمات وأفكاراً ونظراتٍ وأمانى ، فهو يحلم لنفسه وللآخرين بالفردوس ، والعالم يتعامل مع جسم الإنسان دون أن يدرك سر روحه وعقله ومشاعره .

أما الروائى فهو يرى أن « الكلى أعظم من الجزء » ، وأن الإنسان الحى أعظم من روحه ونفسه وعقله ووعيه . والرواية هى كتاب الحياة المشرق ، ففيها لاتستطيع الشخصيات أن تفعل شيئاً إلا أن تحيا بخيرها وشرها وأهوائها ، وإلا توقفت عن الحياة .. فالناس يذهبون أحياناً إلى الصحراء لمناجاة الله ، وأحياناً يذهبون إلى الصحراء للبحث عن المال ، وفى غير الصحراء يبحث الناس عن المال والإصلاح السياسى ، والتبشير بالحب اللانهاى ، مع أن الحياة ليست هى كل هذا ، أو ليست هذا فحسب .

ووظيفة الفن هى الكشف عن العلاقة بين الإنسان وبين عالمه

في مكان وزمان محددين .. ورجال الدين والفلاسفة والعلماء
يسعون جميعاً إلى تثبيت الأشياء لتحقيق مبدأ التوازن .. رجل
الدين مشغول بالإله الواحد ، والفيلسوف مشغول بالأفكار
الجامدة ، والعالم مشغول بالقوانين الدقيقة .. أما الروائي فيرى
التوازن في الميزان العادل ، ذلك الذي لا يرجح كفة على أخرى ،
أى لا يرجح الخير والحق والجمال على الشر والباطل والقبح ، لأن
الحياة وعاء لكل هذه الصفات مجتمعة ، وكل ما عداها من
صفات متناقضة ومتعارضة .

أما رسالة « لورانس » ، فهي الحب ، وهي رفع ستار الخفايا
والخبايا عن الحب ، وتعليم الناس كيف يحبون في عالم تسوده
الكراهية .

هذه الرسالة هي التي دفعت « لورانس » إلى أدب عظيم يتميز
طابعه بالثراء وبالبقاء .





أحمد أمين
وفلسفة التراث

١٨٨٦ - ١٩٥٤

أحمد أمين وفلسفة التراث (١٨٨٦ - ١٩٥٤)

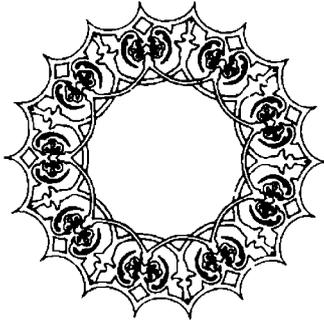
في أول أكتوبر عام ١٨٨٦ ولد الشيخ الدكتور « أحمد أمين » بحى الخليفة بالقاهرة .. علمه والده « الشيخ إبراهيم » الوافد من قرية « سمخراط » بالبحيرة ، القراءة قبل أن يرسله إلى « كتاب » بنباقدان ليحفظ القرآن الكريم .. ولما شب الفتى اطلع على الكتب والمخطوطات التي كان ينسخها والده بهدف حفظ التراث وصيانه ، فأقبل على دراسته بالأزهر ، ولكنه ترك الدراسة للتدريس بطنطا ، ثم بالإسكندرية ، ثم بالقاهرة . والتحق بمدرسة القضاء الشرعى وتخرج فيها عام ١٩١١ ، ودرس فيها حتى استقر في كلية الآداب عام ١٩٢٦ حتى أصبح عميداً لها عام ١٩٣٦ ، وكان قد تنقل في المحاكم قاضياً شرعياً عُرف بالعدل والإنصاف ، حتى تُوفى في ٣٠ مايو عام ١٩٥٤ .

لم ينهر بالحضارة الغربية ولم يرفضها ، في الوقت الذي تمسك فيه بالتقاليد الشرقية والتراثين : الإسلامى والعربى ... ويعد « أحمد أمين » من الرواد العرب الأوائل الذين انتزعوا من المستشرقين مهمة تحقيق التراث والتعليق عليه ، سواء كان مدوناً في مخطوطات ثمينة أو منشوراً في مطبوعات قديمة ، حفاظاً على تاريخنا الذى كاد أن يندثر ، وإحياء لحضارتنا التى تكاد تضيع .. وقاد « أحمد أمين » الرأى الذى يقول بتحقيق التراث الجدير بالنشر فقط ، والذى له صلة بالثقافة المعاصرة ، دون إضاعة للوقت والجهد فى تحقيق آلاف المخطوطات التى لاتصلح مضامينها ولأساليبها لزماننا الحاضر .. وعلى هذا بدأ باختيار قصة « حى بن يقظان » للفيلسوف الأندلسى « ابن طفيل » أستاذ الفيلسوف الشهير « ابن رشد » ، لِمَا فى هذه القصة من عناصر أساسية وعامة شبيهة بقصة « روسو » المعروفة « إميل أو التربية » ، ثم أشرك معه مجموعة كبيرة من المحققين الذين تمرسوا بهذا العمل الدقيق ، منهم : د. شوقى ضيق ، ود . إحسان عباس فى « فريدة القصر وخريدة العصر » للأصفهانى ، وإبراهيم الأبيارى ، وأحمد الزين فى « العقد الفريد » ، وعبد السلام هارون وعدد من المحققين فى البلاد العربية فى مقدمتها سورية والعراق والمغرب ولبنان ، وناصر الدين الأسد وعبدالله كنون ومحمد يوسف نجم ..

وكما أسهم في إحياء التراث بالتحقيق والتعليق أسهم أيضاً في ترسيخ الفكر الديني بدراساته الإسلامية المعاصرة : « فجر الإسلام » ، « ضُحَى الإسلام » ، « ظُهر الإسلام » و« يَوْم الإسلام » .. فقد أدرك « أحمد أمين » منذ البداية أن « الإصلاح الاجتماعي » لا يمكن أن يستقيم إلا تأسيساً على « الإصلاح الديني » وخاصة بعد أن تزعزع إيمان الناس نتيجة للاستعمار والتخطيط السياسي ، ولهذا أصدر كتابه الهام « زعماء الإصلاح في العصر الحديث » وفيه قدم عشرة من أبرز المصلحين في الإسلام ، تشكل نزعاتهم الإصلاحية مجتمعة رؤية واحدة موحدة لما كان يصبو إليه « أحمد أمين » كمصلح معاصر جاء بعد هؤلاء جميعاً ، وفي وقت تحتاج فيه الأمة الإسلامية والعربية إلى كثير من الإصلاح في أمورها الدينية والدينية معاً .. وكان يهدف إلى تجديد دعوة الإصلاح التي نادى بها هؤلاء المصلحون من « محمد بن عبد الوهاب » في الجزيرة العربية إلى « محمد عبده » و« عبدالله النديم » و« علي مبارك » في مصر ، مارا بتركيا « مدحت باشا » ، والهند « أحمد خان » و« أمير علي » و« أفغانستان » « جمال الدين الأفغاني » وتونس « خير الدين التونسي » وسوريا « عبد الرحمن الكواكبي » .

وهكذا ترك « أحمد أمين » أثراً كثيرة في الدراسات

الإسلامية والعربية ، تتميز بالتفكير المنطقي السليم ، والمنهج النقدي القويم ، والتحليل الفلسفي الدقيق ، فضلا عن المقارنة والتعقيب والتفسير ، كما وضح تأثيره الكبير على العرب والمستشرقين الذين أفادوا من طريقته الفريدة في البحث العلمي واستخراج النصوص ، وتنسيق الصور والفصول .. أما دعوته الإصلاحية فكانت الامتداد التاريخي والطبيعي لكل الدعوات الحضارية التجديدية ، تطويراً لحياتنا الفكرية ، وتأصيلاً لتراثنا المجيد .



هيكـل وفلسفة التجديد (١٨٨٨ - ١٩٥٦)

في اليوم العشرين من أغسطس عام ١٨٨٨ ولد « محمد حسين هيكـل » بالسنبلاوين بالقرب من المنصورة ، لأبوين ريفيين ولكن متيسرين .. أدخله والده العمدة « كـتـاب القرية » لـيتم حفظ القرآن ، ثم أرسله إلى القاهرة ليحصل على البكالوريا من المدرسة الخديوية عام ١٩٠٥ .. وكان يقضى إجازته السنوية في القرية يقرأ ويكتب ويحرر مجلة « الفضيلة » الحائطية .. والتحق « هيكـل » بمدرسة الحقوق ، وكانت تربطه صلة نسب بأستاذ الجيل « أحمد لطفى السيد » فاتصل به وكتب في جريدته « الجريدة » عن « تحرير المرأة » ، كما نشر بها روايته الشهيرة « زينب » مسلسلته بتوقيع « مصرى فلاح » ، تفادياً لثائرة الإقطاعيين .. وحصل « هيكـل » على

الدكتوراه في القانون من الجامعة الفرنسية ، وهو بعد في الرابعة والعشرين من عمره .

رأس « هيكل » تحرير جريدة السياسة ، والسياسة الأسبوعية ، لسان حال حزب الأحرار الدستوريين ، ثم عين وزيراً للدولة ، فوزيراً للمعارف في ثلاث وزارات متتالية ، حتى اختير رئيساً لمجلس الشيوخ .. وفي عهد الثورة أخذ يكتب في جريدة « الأخبار » حتى رحيله في الثامن من ديسمبر عام ١٩٥٦ عن (٦٨) عاماً .

نادى هيكل بالديمقراطية على أساس أنها تلائم المزاج المصرى والطبيعة المصرية ، بل والدين الإسلامى أيضاً ، فهو دين تتوزع فيه الثروة بحكم التوريث توزيعاً يحول دون تكديسها أو بقائها في يد أسرة بالذات ، ويفتح باب الجهود الذاتية بذلك واسعاً ، مع دعوة التعاليم الإسلامية إلى ما تدعو إليه الديمقراطية من حقوق الأفراد في حرية الفكر وفي التعليم ، وفي السعى والعمل .. وطبيعة هذه البلاد تتفق مع هذه التعاليم وتعاون عليها .. فهذا النهر الذى يسقى الناس جميعاً ، ويخصب الأرض جميعاً ، ويبيث الحياة من مائة حيثما جرى ، وهذه الشمس التى لاتضن على أحد بنورها ودفئها ، وبما فى أشعتها من أسباب النشاط والصحة ، وهذا الوادى المنبسط ، والصحراء المنسبطة فيها وراءه ، ذلك كله يوائم التفكير

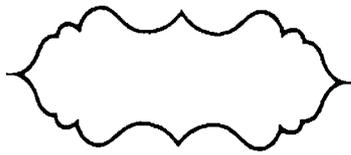
الديمقراطي ، ويمتزج أشد الامتزاج معه ، وهو على العكس من ذلك ، ينفر من التحكم أشد النفور ، ولهذا لم يستطع متحكم أن يرغم شعب مصر على غير ما يريده ، ولم يحتج هذا الشعب إلى الثورات الدموية الجارحة ليتغلب على خصومه ، لأن طبيعته تعاونه على المتحكمين في أمره ، وتضطرهم برغم ما يكون لديهم من أسباب القوة والبطش للتفاهم وإياه لأخذه بالحسنى . ثم النزول لإرادته ، فإن لم يفعلوا نبتهم الطبيعة المصرية ، فلم يبقوا في الوادي إلا ريثا ينصرفون عن مؤدعين من الشعب بالقت والاحتقار .

ونادى « هيكل » بالتجديد والتحرر اجتماعياً وسياسياً ، وعلى المستوى الأدبي أيضاً ، نتيجة لاحتكاكه بالشعب الفرنسي وإعجابه بأدباء فرنسا ، واقتناعه بتعاليم « الثورة الفرنسية » ، والأساس في كل ذلك هو « حب الحرية » والنزعة نحو « التجديد » .. وقد كانت دعوة « تحرير المرأة » تتزايد ، ودعوة التجديد في مدرسة السياسة الفكرية تتصدى لحزبي المحافظة معاً : الوفد ، والوطني . ودعوة العدالة الاجتماعية تجد صداها في الكتابة الأدبية المتأثرة حيناً بكتّاب الغرب مثل « روسو » ، وحيناً آخر بمصلحينا الأساتذة والأئمة معاً .

وعندما تولدت « الثورة الفكرية » من ثورة ١٩١٩

السياسية كان هيكل من أوائل وأكثر المفكرين الذين يقصرون الدعوة على حرية الفكر والرأى فى السياسة والأدب ، بل نادى ببحرية البحث حتى فى الدين ، دون أن يكون ذلك تجديفاً وإلحاداً ، اقتناعاً منه ، ونتيجة لدراساته الفلسفية بأن الشك هو الطريق الأمثل والقويم للإيمان ، أو روح الإيمان كما تحدث عنها فى كتابيه « حياة محمد » و« منزل الوحي » .

وهكذا خرج « محمد حسين هيكل » المفكر العربى الإسلامى بتلك المعادلة الحضارية والإنسانية التى تجمع بين « عقل الغرب » و« إلهام الشرق » فى إطار عصرى من التوحيد والتجديد والحرية .





**العدة ااد
وفلسفة الإسلام**

١٨٨٩ - ١٩٦٤

العقاد وفلسفة الإسلام (١٨٨٩ - ١٩٦٤)

في الثالث عشر من مارس ١٩٦٤ رحل عن عالمنا عبقرى العبقريات ، المدافع عن الإسلام والسلام « عباس محمود العقاد » ليستقر في أسوان ، حيث ولد في الثامن والعشرين من يونيو عام ١٨٨٩ . جاء إلى القاهرة وهو في الخامسة عشرة لايحمل غير « الابتدائية » وبدلاً من أن يلتحق بوظيفة أو يستكمل دراسته تفرغ للقراءة والكتابة ، وعاش منهما ولهما دون زوجة أو ولد ، فبدأ بالكتابة للصحف ، وانتهى إلى إصدار (٨٥) كتاباً في الأدب والفن والعلم والمعارف الإنسانية والإسلامية واهتم بالسياسة ، ووطد صداقته بسعد زغلول ، فأسهم في تحريك ثورة ١٩١٩ ، ثم بمصطفى النحاس ، فانتخب مرتين عضواً في مجلس النواب ، وعين

مرتين عضواً في مجلس الشيوخ . حارب من أجل الدستور وإرساء الحياة النيابية ، فأصاب هجومه « الملك فؤاد » نفسه عندما قال قولته الشهيرة : « إن شعبنا قادر على سحق أكبر رأس يتعرض لحرياته » فهو جَمَ في رزقه ، وسُجِن تسعة أشهر .

وكانت للعقاد معارك فكرية كثيرة وثرية ، مع مصطفى صادق الرافعي ، وأمين الرافعي ، وأحمد شوقي ، وطه حسين ، وزكي مبارك ، ومحمد حسين هيكل ، ولطفى السيد ، ومكرم عبيد ، وتوفيق الحكيم . كما كانت له - على الوجه الآخر - تراجم تاريخية تحليلية عن عباقرة الإسلام « محمد » من الأنبياء . وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، من الخلفاء . وخالد ، ومعاوية ، وفاطمة ، والحسين ، من الصحابة . والغزالي ، وابن رشد ، وابن سينا ، ومحمد عبده ، من المفكرين ، وبلال ، وسلمان ، وصهيب ، من النُّسَّاك . والحلاج ، والسهروردي ، وابن عربي ، من الصوفية .

وقد دافع العقاد عن الإسلام دفاعاً مجيداً ، لا من حيث هو دين حنيف فحسب ، ولكن من حيث هو فكر قويم أيضاً ، وهذا ما يتجلى في كتبه « حقائق الإسلام وأباطيل خصومه » و« مطلع النور » ، و« ما يقال عن الإسلام » . ووضح العقاد

فلسفة الإسلام وموقف الدين الإسلامي من الإنسان والقَدَر والشيطان والعبادة والمعاملة والديمقراطية والأمة والمرأة ، وهذا ما يظهر جليا في كتابيه : « الإنسان في القرآن » و « المرأة في القرآن » . وكما كان العقاد من دعاة العلم فهو أيضاً من دعاة الإيمان ، إذ يقول : « إذا كان الإسلام لم يعطل العقل والفكر ، وقد أطلقهما إلى أوسع الحدود فلا يمكن أن يضيق بالفلسفة التي تفكر في حقائق الأشياء ، طالما أن التفكير في السموات والأرض من فرائض الإسلام المتواترة » .

فقد حاول « العقاد » من كل هذا أن يصل إلى « أيديولوجية إسلامية » تقف في مواجهة الاشتراكية والرأسمالية على السواء .

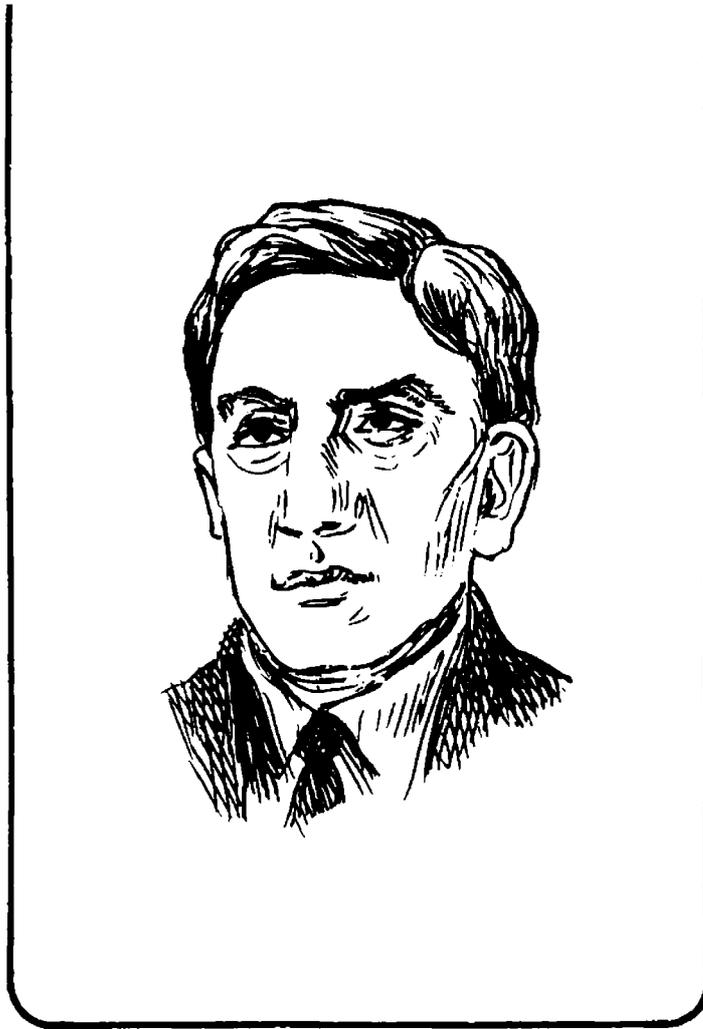
يؤمن « العقاد » بأن الروح هي حقيقة الوجود ، وأن الجوهر هو الأصل الكامن وراء الظاهر ، أما المادة فهي الوسيلة . وهو لا يرى مثل الأقدمين أن « الروح حركة لا كثافة فيها ، والمادة كثافة لا حركة فيها » لأن الحقائق الوجدانية والقيم الروحية لا تقاس عنده بمقياس الأرقام والأنابيب . كما أن حركة التاريخ لم تستقم في أى اتجاه كما استقامت في اتجاه الحرية الفردية ، متخذة من ثلاثية أفلاطون المثالية « الحق ، والخير ، والجمال » شعلة تستنير بها . ويسلم « العقاد » بأن الوجود أو الموجود شيء أعم وأشمل من المعرفة

أو « المعروف » ، فالتفكير العلمى هو القدرة على ملاحظة التجارب المحسوسة ، والتفكير الرياضى هو القدرة على تصور الافتراضات المجردة .

ويرى العقاد أن الأخلاق تعتمد على الضمير الذى قوامه الصراحة والوفاء والإخاء والسلام ، والذى يستهدى بفكرة « الأمر الجازم » دون تنصُّل من مسئولية أو فرار من واجب . والأخلاق عنده تعنى « الغيرية » لا « الأنانية » . ويجد العقاد أن الجمال فى الفهم والطبيعة معنوى وليس شكلياً ، فالأشكال لاتعجبنا إلا لمعنى تحركه أو توحى به ، والجمال غير حرية الإرادة والاختيار التى تميز بدورها الإنسان عن سائر الكائنات والموجودات . ولهذا أطلق « الدكتور زكى نجيب محمود » على « العقاد » هذه التفرقة « أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدب » .

أليس هو القائل :

خلعت اسمى على الدنيا ورسمى فلا أنعى رحيلى أو مقامى



توينبي
وفلسفة التاريخ

١٨٨٩ - ١٩٧٥

توينبى وفلسفة التاريخ (١٨٨٩ - ١٩٧٥)

هو واحد من أبرز الأصوات العالمية التى طالبت بحل مشكلة الشعب الفلسطينى كشرط لتحقيق سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط ، إنه المؤرخ الإنجليزى « أرنولد جوزيف توينبى » الذى وُلد فى الرابع عشر من أبريل عام ١٨٨٩ بلندن .. تعلم وعلم بجامعة أكسفورد ، ووصل إلى قمة التخصص فى التاريخ ، ووعيه بفلسفته فى أشهر مؤلفاته « دراسة فى التاريخ » وفيه يفسر قيام الحضارات على أساس « التحدى والاستجابة » مستنكراً فكرة قيام التاريخ على فلسفة قدرية أو ثقافية أو أخلاقية ، مؤمناً بأن القوى النفسية وليست القوى المادية هى التى تسير مجرى التاريخ فى حياة الشعوب والأمم .

أشاد « توينبى » فى بحثه « مركز العالم الإسلامى » بالإسلام ، نظرًا لأن تعاليمه السمحة أزالَت فروق الجنس واللون بين الناس . وفى دراسته لتاريخ الأديان يمزج توينبى بين « أمون رع » و« يهوا » و« سقراط » و« كونفشيوس » و« المسيح » و« محمد » . ويفسر فكرة التعبد الدينى مبيناً أن الإنسان بدأ بعبادة الطبيعة ، ثم تطور إلى عبادة الحقيقة المجردة الممثلة فى فكرة الرب أو الإله .

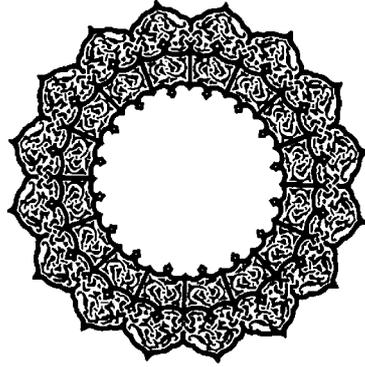
ويعارض « توينبى » فكرة أن اليهود هم شعب الله المختار ، ويتهم الصهيونية بأنها حركة تحاول أن تحقق بالقوة وعدًا دينيًا بالعودة إلى أرض فلسطين ، أو إسرائيل كما يطلقون عليها . أما الثقافة اليهودية فتعد - فى رأيه - بقايا متحجرة من العصور القديمة . وقد ندد « توينبى » بالأعمال الوحشية التى قام بها الصهيونيون ضد عرب فلسطين ، تلك الأعمال التى تفوق فى وحشتها أعمال النازية ضد اليهود ، ويقول : من المؤسف للإنسانية حقاً أن أناساً كاليهود ذاقوا العذاب والألم على يد النازية يُذيقُونَ غيرهم ذات العذاب والألم . ويستنكر « توينبى » الحرب واستخدام السلاح كوسيلة لإقرار السلام فى العالم . ووقف ضد عدوان ١٩٥٦ الثلاثى على مصر ، واستنكر العدوان الأمريكى على فيتنام ، وهاجم مؤامرة حرب ١٩٦٧ ، ونادى باستقلال الجزائر وكل الشعوب

المُسْتَعْمَرَة ، وندد بالتدخل السوفيتى فى تشيكوسلوفاكيا ،
وطالب بالانسحاب من الجنوب العربى ، وتصدى لسياسة
التفرقة العنصرية فى جنوب إفريقيا ، ومع هذا ناصر « انتصار
أكتوبر » كسبيل وحيد لفرض الحل السلمى عن طريق العمل
العسكرى .

وتتلخص « فلسفة التاريخ » عند توينبى « فى تحقيق
الذات » وكفاح الأشخاص والشعوب المستمر من أجل أشياء
أعظم ، ليست هى القوة ولاهى الغرور والأنانية ، وإنما تمثل
هذه الأشياء الأعظم فى البقاء والتحدى والحضارة الثقافية
والروحية المبدعة ، علماً بأن القواعد التى تنطبق على
الحضارات وتختلف عن تلك التى تنطبق على الأجناس ، ذلك
أن الحضارة الحققة هى التى تنهض بعد تدهور وتزداد ازدهاراً
بعد طول اضمحلال ، بعكس الحضارة الفقاعية التى لا تقوم
على أسس قوية ، فىسهل ضربها ويسهل اختفاؤها . ويؤمن
« توينبى » بأن البشرية تتجه الآن إلى فصل جديد من تاريخها
سيقع فيه عبء الاختيار ، لابين عالم موحد وعالم منقسم ،
وإنما بين أن يعيش فى ظل عالم واحد ، وألا يكون هناك عالم
على الإطلاق . ولكنه يؤكد على ثقته من أن الجنس البشرى
سيختار الحياة والخير بدلا من الموت والشر ، ولذلك فإن
المستقبل سيكون للعالم الواحد ، حيث يختفى التعصب

العقائدى ، وتحل القيم التى تتفق عليها جميع الأديان ، وحيث
تختفى الحدود المصطنعة سياسياً لتنشأ القوميات الكبيرة ،
تمهيداً لقيام حكومة عالمية واحدة ، وحيث يختفى التخصص ،
لكى تحل محله النظرة الشاملة الواعية للشئون الإنسانية .

وأخيراً يفرق « توينبى » - الذى رحل عن عالمنا فى الثانى
والعشرين من أكتوبر عام ١٩٧٥ - بين الذين يصنعهم
التاريخ ، وهؤلاء العظماء الذين يصنعون التاريخ .





طه حسين
وفلسفة المنهج

١٨٨٩ - ١٩٧٣

طه حسين وفلسفة المنهج (١٨٨٩ - ١٩٧٣)

أربعة وتسعون سنة إلا قليلاً مرت على مولد « طه حسين » في الرابع عشر من نوفمبر ١٨٨٩ بقرية عزبة الكيلو بمغاغة ، وقد توفى في القاهرة في الثامن والعشرين من أكتوبر ١٩٧٣ ..

أدخله والده الشيخ الفقير - الذي أنجبت له زوجته ثلاثة عشر ولداً وبناتاً هو سابعهم - « كَتَّاب » القرية بعد أن فقد بصره وهو في الثالثة من عمره ليحفظ القرآن الكريم .. انتقل قبل أن يبلغ الثامنة إلى القاهرة ليلتحق بالأزهر إلى جانب شقيقه الأكبر ، وظل فيه عشر سنوات ، تركه بعدها إلى الجامعة الأهلية ، حيث حصل على أول دكتوراه عام ١٩١٤

عن رسالته « في ذكرى أبي العلاء » .. ثم سافر إلى فرنسا وحصل على دكتوراه أخرى بالفرنسية في « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » من جامعة مونتبييه .. وتزوج عام ١٩١٧ من زميلته الفرنسية ورفيقة حياته وكفاحه وأمجاده « سوزان » التي أنجبت له « مؤنس » و« أمينة » .. عُيِّنَ أستاذاً للأدب العربي في كلية الآداب ، ثم عميداً لها ، ثم مديراً للجامعة ، فوزيراً للمعارف ، ومع هذا كانت شخصيته أقوى دائماً من كل مناصبه .

كتب « طه حسين » في صحف « مصر الفتاة » و« الجريدة » و« العلم » و« الهداية » الشعر العمودي والحر ، والمقالة الأدبية والسياسية ، والقصة القصيرة والطويلة ، والنقد النظري والتطبيقي ، فأسس المدرسة الأدبية الحديثة التي تنادى بالبحث العلمي كأساس للدراسات ، وبالحرية والقوة والانطلاق كمنهج للتفكير . وأثار لأول مرة معركة القديم والحديث في الأدب ، والتي كانت بداية الانتفاض والبعث الأدبي .. كما أثار كتابه « في الشعر الجاهلي » ثائرة خصومه الذين أشاعوا أن آراءه منافية لروح الدين ، وأن صاحبه كافر .

كان طه حسين مؤمناً بأن حرية الكاتب لا يمكن تقييدها بقيود ، وأن الإيمان بمبدأ يستلزم الدفاع عنه ، مهما كلف

صاحبه من جهد وجهاد .. ولولا تمسكه بقيم الفكر لَمَا استطاع أن يوفق بين التراث الغربى والتراث الشرقى ، وأن يحافظ على التوازن المثمر بينهما .

فإذا كان « عميد الأدب العربى » يدين بالكثير للفكر الفرنسى ، فإن الفكر الفرنسى مدين له بالكثير .. أجيال وأجيال إذن هنا وهناك تدين له ، فقد كان همزة الوصل الناضجة والواعية والراسخة بين الثقافتين الكبيرين .. أما الثقافتان اليونانية واللاتينية فقد قرنهما بعصر النضج كحلقة فى تطور ثقافتنا المعاصرة وفكرنا الحديث .. ولذلك وجد المستشرقون فى أعمال « طه حسين » الأدبية صورة حيّة من الأدب الذاتى فى شكله المعاصر ..

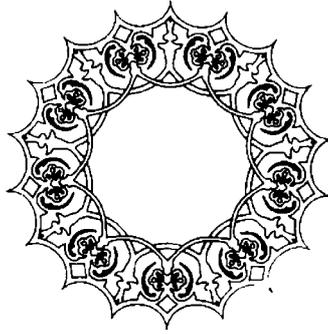
وضع « طه حسين » فى كتابه المهم « مستقبل الثقافة فى مصر » برنامجاً عملياً فى نظم التعليم حتى تلحق مصر بركب العلم والمعرفة ، ومن هنا كانت دعوته المدوية والشهيرة بأن يصبح العلم كالماء والهواء حقاً لكل مصرى ، فكانت مجانية التعليم هى أولى خطوات برنامجه الثقافى الواسع النطاق والآفاق .. وكما دعا إلى تحرير الإنسان بشكل عام ، وإنسان وطنه بشكل خاص من الجهل ، دعا أيضاً إلى تحريرهما من الفقر والمرض .

التجديد في الفكر ، والتجديد في المجتمع ، هما الثورتان المتعاقبتان المتصلتان في حياة « طه حسين » ، فبعد تعميم التعليم وتأميمه طالب برفع الظلم عن الطبقات المعدمة والكادحة استناداً إلى الدعوة الإسلامية في جوهرها وصميمها .. ومن هنا جاء اهتمامه بالدراسات الإسلامية من ناحية ، وارتباطه بالأحزاب السياسية الشعبية من ناحية أخرى ، فهو يريد أن يتصل بالجماهير العريضة حتى يصل إليها بدون أن يتعالى عليها ، لأنه يفكر لها وليس لطبقة متميزة من عليّة القوم وصفوة المجتمع .

لقد انتهج « طه حسين » منهج الشك الديكارتى وقواعده المؤكدة ، التي تعصم ذهن الباحث من الوقوع في الخطأ ، وتهديه إلى بلوغ الصواب ، ولهذا انتهى باليقين الكامل إلى الإيمان المطلق .. واستحدث منهج الاجتماعى فى تحليل الشخصيات الفكرية والأدبية ، كما فى كتابه : « قادة الفكر » و« الفتنة الكبرى » .. وهو إذ يجارى أسلوب « الجاحظ » فى سخريته إنما يضيف عليه عقل « فولتير » الراجح وروحه النافذة .

وهكذا تندلع ثورة « طه حسين » الثالثة ، وهى إرساء قواعد المنهج العقلانى فى فكرنا العربى .. أما الفلسفة - عنده - فإن صاحبها هو من يجمع الحكمة علماً وعملاً ،

وتكون حياته موافقة لنتائج بحثه .. و« طه حسين » نفسه
فيلسوف بهذا المعنى ذاته ، وليس فيلسوفاً بالمعنى التقليدي
لللمة ، فحياته هي فكره وفكرنا ، وفكره هو حياته
وحياتنا .





الحكيم
والفلسفة التعادلية

١٨٩٨ - ١٩٨٧

الحكيم .. والفلسفة التعادلية (١٨٩٨ - ١٩٨٧)

يبلغ شيخ مفكرينا « توفيق الحكيم » عامه التاسع والثمانين - قبل رحيله في السادس والعشرين من يوليو ١٩٨٧ - وكان لا يزال في قمة عطائه الفكري والأدبي ، برغم شدة بخله المادى . ولعله يطبق بهذا - وعلى نفسه - فلسفته التعادلية ، فأسرته كانت ميسورة قبل مولده في التاسع من أكتوبر عام ١٨٩٨ بالإسكندرية ، وظلت كذلك بعد حصوله على ليسانس الحقوق عام ١٩٢٤ ، وانخراطه في السلك القضائى متبعاً خطوات والده الذى وصل إلى منصب القاضى ثم المستشار .. ولكن الحكيم كان مشغولاً بالحركة الوطنية وبالمرح .. فاشترك مع الطلبة في ثورة ١٩١٩ ، وكتب للمسرح أكثر من مسرحية تهاجم الإنجليز « الضيف

الثقيل « وتعالج مشكلات المرأة والمجتمع « المرأة الجديدة »
و« جنسنا اللطيف » و« الخروج من الجنة » و« على بابا » .

انزعج والداه من هذا الاتجاه ، فعمل على إبعاده في باريس
بحجة حصوله على الدكتوراه ، وهناك وجد « الحكيم » فرصة
أكبر لإشباع مواهبه وإنضاج فنه وفكره .. وعاد بعد ثلاث
سنوات مخيباً ظن والديه ، وإن عمل سبع سنوات وكيلاً
للنائب العام في المحاكم المختلطة ثم الأهلية ، كان نتاجها جميعاً
« يوميات نائب في الأرياف » و« ذكريات الفن والعدالة » ..
كما كان نتاج باريس « عصفور من الشرق » و« زهرة
العمر » .

وانتقل « الحكيم » من السلك القضائي إلى العمل الحكومي
بوزارتي المعارف والشئون ، حتى استقال عام ١٩٤٣ ليلتحق
بأخبار اليوم على مدى ثماني سنوات ، عين بعدها مديراً لدار
الكتب ، ثم عضواً دائماً بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، ثم
مندوباً مقيماً لمصر باليونيسكو ، إلى أن استقر « بالأهرام »
كاتباً ورئيساً شرفياً لمجلس إدارته .

ويعنينا هنا الآن فكر « الحكيم » الذي ظهر في روايته
« عودة الروح » وفي مسرحياته « أهل الكهف » و« السلطان
الحائر » و« الصفقة » و« الورطة » و« شمس النهار » وفي

تأملاته « تحت شمس الفكر » و« شجرة الحكم » و« سجن العمر » والكتب الخمسين الأخرى التي نشرت من عام ١٩٢٦ حتى اليوم ، والتي ترجم أغلبها إلى عشر لغات حية .

هذا الفكر يتبلور في مذهبه النابع من معتقداته وموروثاته الدينية ، والذي أسماه « التعادلية » .. و« التعادلية » في جوهرها « وسط » بين الأمور والأشياء ، وهي في صميمها تقر بحقيقة « أن كل موجود من الله » ، وأن الموجودات المادية والمرئية والحسية لا بد أن واجدها - بحسب نظرية النقيض - غير مادي وغير مرئي وغير حسي ... ولذلك فإن الحرية عند « الحكيم » مقيدة وليست مطلقة كما هي عند « سارتر » الذي يقول بأن القيد الوحيد المفروض على الإنسان هو حرите ذاتها ... وتتطور « تعادلية » الحكيم فتضع الكون بين متناقضين ، ومن ثم تعترف بالنقيضين أو بالشئ ونقيضه .. فالحياة يقابلها الموت ، والإيمان يقابله الكفر ، والحب تقابله الكراهية ، والعلم يقابله الجهل ، والثراء يقابله الفقر ، والقوة يقابلها الضعف ، والحرية تقابلها العبودية ، والعدل يقابله الظلم ، والنهار يقابله الليل ، والشمس يقابلها القمر ، والبرد يقابله الحر ، والرجل تقابله المرأة ، والصواب يقابله الخطأ ، والكرم يقابله البخل .. وهكذا .

وهكذا تنشأ الحركة وتتنظم في درجة معينة من التعادل ،

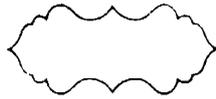
وعندما يفرط في جانب يقاومه الجانب الآخر ، حتى يصل إلى نقطة التعادل ، فيستقيم الكون ، ويستمر الوجود .

وعلى ذلك فإن حرية الإنسان يقابلها قيد الزمن ، ولافكاك لأحد من هذا القيد ، لأن الحرية محكومة بزمانها ومكانها ، أو هي محاصرة من العالم الخارجى ، وإن وجودها المطلق لا يتحقق إلا داخل النفس .. فإذا خرجت إلى الوجود فعليها أن تنزلق في هواده حتى لاتتهشم نتيجة للصدام المروع بالضرورة ... ولايجد « الحكيم » في هذا الحصار شعورًا بعجز الإنسان أمام القوى الضاغطة عليه ، المؤثرة في مصيره ، ولكنه يجد في هذا الحصار دعوة للانفكاك وحافزًا على الكفاح .. فلايكفى الإنسان أن ينادى بحريته أو يعلن عنها ، ولكنه مطالب بتحقيق خَلاصِهِ بالطرق المشروعة إنسانياً ودينياً واجتماعياً . والحكيم يقف هو الآخر بين نقيضين بفضل تعادلته ، فهو يقف بين « سارتر » بحريته المطلقة وبين « الميثولوجيا الإغريقية » بعبوديتها المطلقة .

والتعادلية ، بعد ذلك هي قبول الأمر الواقع بدون محاولة حمقاء لتغييره ، فقط عليها تكييفه ، لأنها لاتقوى على التخلص من نقاط الضعف ، وإن كان عليها أن تزيد من نقاط القوة ، ليحدث التوازن بحيث يعيش الخير إلى جانب الشر ، والتقدم إلى جانب التخلف ، لأن هذه هي سُنّة الحياة .

ويلخص « الحكيم » فلسفته التعادلية في مبادئ خمسة :
الوجود هو التعادل مع الغير ، فبغير الغير لا يوجد وجود ..
الفكر يجب أن يكون معادلاً للعمل ، فلا يخضع أحدهما
للآخر .. الضعف والنقص حالات لها ما يقابلها من قوى
معوضة معادلة ، فالخير يجب أن يوازن الشر .. العقل بمنطقه
وشكله يجب أن يعادل القلب بشعوره وإيمانه .. قوة التعبير في
الإبداع يجب أن تعادل قوة التفسير ، فلا تطغى إحداها على
الأخرى .

وأخيراً يطالب « الحكيم » الإنسان - كل إنسان - بالعمل
على معرفة حقيقته ، ليعرف كل الحقائق الأخرى بعد ذلك .





آرون
وفلسفة العدل

١٩٨٣ - ١٩٠٥

آرون .. وفلسفة العدل (١٩٠٥ - ١٩٨٣)

هو المفكر والفيلسوف الفرنسي « ريمون آرون » الذى توفى فى العشرين من أكتوبر ١٩٨٣ على إثر أزمة قلبية داهمته وهو فى ساحة قصر العدل يدافع عن زميل له بجامعة السوربون ضد كاتب آخر ، وكان « آرون » قد احتفل بعيد ميلاده الثامن والسبعين فى مارس ، كما كان يستعد لإصدار الجزء الباقى من مذكراته التى صدر الجزء الأول منها فى العام نفسه ..

و« آرون » أستاذ علم الاجتماع السياسى ، وعضو مؤسسة الفيجارو الصحفية . كان ليبرالياً لاينحاز إلى اليمين أو اليسار ، وإن ظل يهاجم اليسار الستالينى واليسار السارترى على حد سواء ، على الرغم من أنه اشترك إلى جانب سارتر فى المقاومة

من أجل تحرير فرنسا بدون أن يكون موالياً للزعيم دييجول أو مؤيداً له .

كما اشترك مع سارتر في المقاومة ، وكان « آرون » زميلاً له في مدرسة المعلمين العليا ، ولكنه اختار السلك الجامعي ، تاركاً سارتر لمتاهاته ووجوديته .

وكان « آرون » يقول : إنني أكثر تفاؤلاً ، فلاشك أن المجتمع الحديث الذي لا يزال في دور التكوين ، قد حقق كثيراً من الآمال ، فهو يمنح العدل للناس ، ويوزع المساواة بينهم ويهيئ لهم فرص الحياة المطمئنة ، فرص التعليم وفرص التقدم .

ويرى أن التفكير الاجتماعي وتطبيق علم الاجتماع على المجتمعات هو في الحقيقة منهج جديد لم يظهر إلا في أعقاب الثورة الفرنسية على أيدي فلاسفة الاجتماع : سان سيمون ، وأوجست كونت ، وإميل دوركايم .

وتتلخص فلسفة آرون الاجتماعية في كتابيه الكبيرين : « مراحل الفكر الاجتماعي » و« مقدمة لفلسفة التاريخ » .. وفيهما يناقش أسلافه مونتسكيو ، وتوكفيل ، وماركس ، وفيبر ، كما يناقش معاصريه سارتر ، وشتراوس ، والتوسير .

ويؤسس آرون مناقشاته على مبدأ المساواة الذي طبقه الأسلاف على أساس من التحليل الاجتماعي ، ويعتقد آرون في

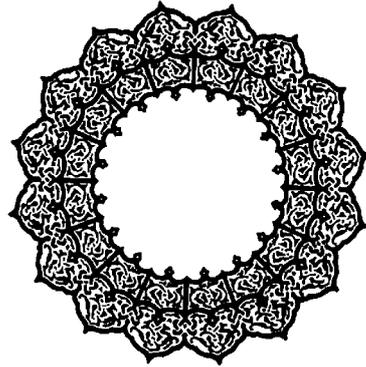
إمكان قيام منهج جديد للمساواة على أساس اقتصادى ، مع تحديد بناء هذا النظام الاقتصادى ، سواء فى جناحه النظرى (الرأسمالية) ، أو فى جناحه التطبيقى (التكنولوجيا) .

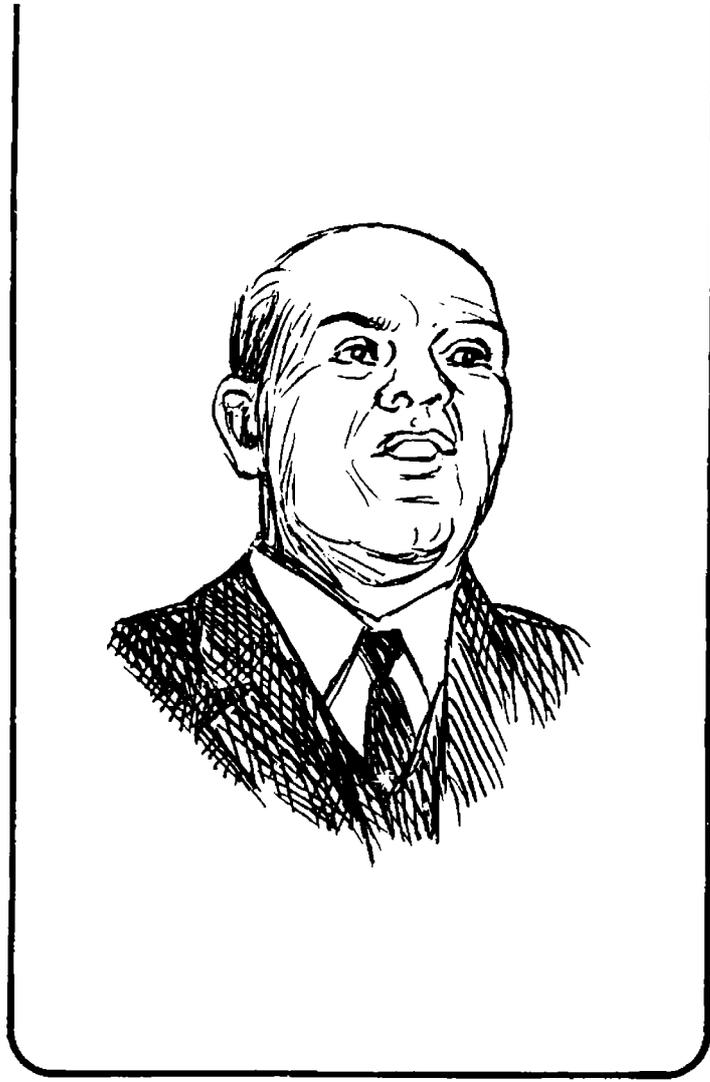
ويقرر آرون أن أى منهج سياسى لايتعارض مع أى منهج اقتصادى ، ولكن العالم يفتقر إلى منهج للمناهج أو إلى نظام للنظم ، ذلك أن دراسة المجتمع العالمى تتطلب الوقوف أمام نظم الانتخابات ، والتعرف على مدى التشابه أو الاختلاف بينها فى كل مناطق العالم ، فهناك ولاشك علاقة عارضة أو متفق عليها بين منهج الأحزاب المتألفة أو المتحدة ، وبين المنهج الاقتصادى العام ، وهناك - ولاجدال - علاقات كثيرة أخرى غير هذه العلاقة العارضة بين الاقتصاد التجارى وأحزاب الأغلبية .

إما الديمقراطية البرلمانية القائمة على منهج المنافسة ، فقد كانت مرتبطة فى الأصل بالاقتصاد التجارى القائم على منهج المنافسة هو الآخر .

ويعلن آرون عدم إيمانه بحتمية التاريخ ، أو جدلية التاريخ ، وعدم اعتقاده فى وجودهما على الإطلاق .. كما لا يؤمن ولايعتقد فى دفع حركة سير التاريخ بناء على تفسير للمجتمع الرأسمالى فى الوقت نفسه .

وبرحيل « ريمون آرون » يسدل الستار على جيل بأكماله
من المفكرين الذين ربطوا بين السياسة وعلم الاجتماع ، أو
- بتعبير آخر - ربطوا بين الفلسفة السياسية والفلسفة
الاجتماعية في عصرنا الحديث .





أحمد زكي
وفلسفة الوحدة

١٩٧٥ - ١٩٩٤

أحمد زكى وفلسفة الوحدة (١٨٩٤ - ١٩٧٥)

كان الدكتور أحمد زكى عالماً ومفكراً وأديباً تركز علمه حول الكيمياء ، ولكنه فتح آفاقاً رحبة في العلوم وانفتح عليها مؤسساً ومشرفاً وممارساً ، ومنظراً ومعلقاً .. وتكز أدبه على الخواطر ، ولكنه امتد به إلى عالم القصة والرواية ، فأمدّه بالكثير مؤلفاً ومترجماً ومُحلّلاً .. أما فكره فقد شمل الكون وشمل وحدانية الله ، ووحدة العرب ، عصرية الإسلام وعصر الإصلاح ، فلسفة الحياة وحرية الفلسفة ، تنظيم الأسرة ، وتححر المرأة .. بناء المجتمع ، والديمقراطية السياسية .. التعليم الجامعى ، والثقافة الشعبية .

والدكتور أحمد زكى ، الذى توفى فى الثالث عشر من أكتوبر عام ١٩٧٥ عن عمر يناهز الثمانين ، « ولد فى الخامس

من أبريل عام ١٨٩٤ بمدينة السويس ، وتلقى تعليقه فى القاهرة حتى تخرج فى مدرسة المعلمين العليا متخصصاً فى الكيمياء ، ثم استكمل دراساته فى جامعات « ليفربول » و« نوتنجهام » و« مانشستر » و« لندن » ليحصل على أعلى الدرجات العلمية ، وهو أول أستاذ مصرى فى الكيمياء ، وأول سكرتير عام لنقابة المعلمين ، وأول رئيس للأكاديمية المصرية للعلوم ، وأول رئيس تحرير مجلة العربى الكويتية .

وكان الدكتور أحمد زكى مديراً لجامعة القاهرة ، وعضواً بمجمع اللغة العربية ، ورئيساً لتحرير مجلة الهلال ، وعضواً ببلجنة التأليف والترجمة والنشر ، وعضواً بالمجلس الأعلى لدار الكتب ، وعضواً بمجلس إدارة البنك الصناعى .

كذلك كان الدكتور أحمد زكى كاتباً فى البلاغ والثقافة والرسالة والاثين ، وهو مؤسس الجمعية الكيميائية المصرية ، والمجمع المصرى للثقافة العلمية ، ومنشئ المعهد القومى للبحوث العلمية .

والدكتور أحمد زكى هو آخر وزير للشئون الاجتماعية فى آخر حكومة قبل الثورة ، والتي لم تستمر غير عشرين يوماً برياسة حسين سرى باشا ، إذ أن حكومة نجيب الهلالي باشا لم تدم أكثر من أربع وعشرين ساعة قامت بعدها ثورة ٢٣ يوليو .

ترجم الدكتور أحمد زكى العديد من الكتب العلمية ، وخاصة فى الكيمياء ، ووضع أكثر من كتاب يجمع بين الرؤى العلمية والفكرية والدينية والاجتماعية ، كان من أبرزها « مع الله فى السماء » و « مع الله فى الأرض » و « قصة الميكروب » و « فى سبيل موسوعة علمية » إلى جانب مقالاته التى نرجو أن تُجمع فى كتب منفصلة .

وتجلى الجانب الأدبى عند الدكتور أحمد زكى فى ترجمته لروايتى غادة الكاميليا ، وجان دارك ، ومجموعته القصصية « بين المسموع والمقروء » وخواتمه المنشورة فى « ساعات السحر » و « مع الناس » .

أما فكره فىتميز بخصائص تشبه خصاله : التعقل ، والنظرة الكلية بعيدة المدى ، والرؤية الواضحة ، والوسطية ، وعدم الانحياز لمذهب أو حزب أو أيديولوجية ، أو نظام أو فئة أو طائفة ، ولكنه كان أخلاقياً فى آرائه كما فى سلوكه وتعامله مع الآخرين ، ولذلك لم يكن سياسياً على الرغم من دعوته الثلاثية : السلام العالمى ، والوحدة العربية ، والتقدم .

كان يؤمن بأن الحق فوق القوة ، ولكنه يعترف بأن القوة فوق الحق فى زماننا هذا ، وأن قانون الغاب هو الذى يحكم ويسود ، وأن الإنسان إما آكل أو مأكول فى غياب العقل

والعدل والخير .. ذلك أن أوراق اللعبة كلها في يد الولايات المتحدة الأمريكية ، وما هيئة الأمم المتحدة إلا ناسك في معبدها ، حتى أن الاتحاد السوفيتى لا يمكن أن يطاولها فى شىء إلى النهاية ، وإلا هلك الجميع .. كما أن الصهيونية ليست هى إسرائيل ، وإنما هى الوجه القبيح للسيطرة الإمبريالية ، وأزمة الشرق الأوسط هى أزمة وحدة الصف .

السلام إذن محفوف بالمخاطر ، والديمقراطية نظرية نسبية ، والقومية حالة وجدانية ، والوطنية مرهونة بالغربة ، والوحدة رهن بالمصالح ، والقيادات .

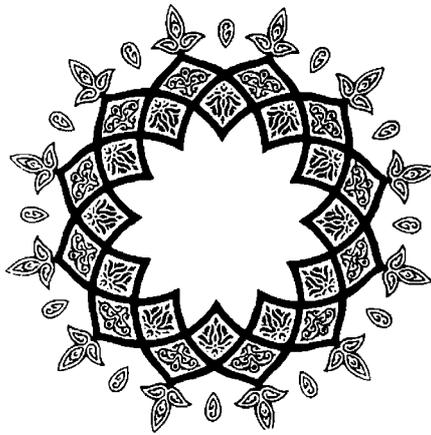
وقد طالب الدكتور أحمد زكى بإنشاء جامعة إسلامية تشمل الجامعة العربية حتى يمكن الرجوع إلى الدين السمح وتخليصه مما أحاط به فى عصور متتالية ، وخاصة ذلك الاضطهاد الذى نشهده فى مناطق مختلفة من عالمنا المعاصر ، فالإسلام ليس عقيدة تختار أو تفرض أو تحارب ، ولكنه حركة إنسانية وحضارة علمية .

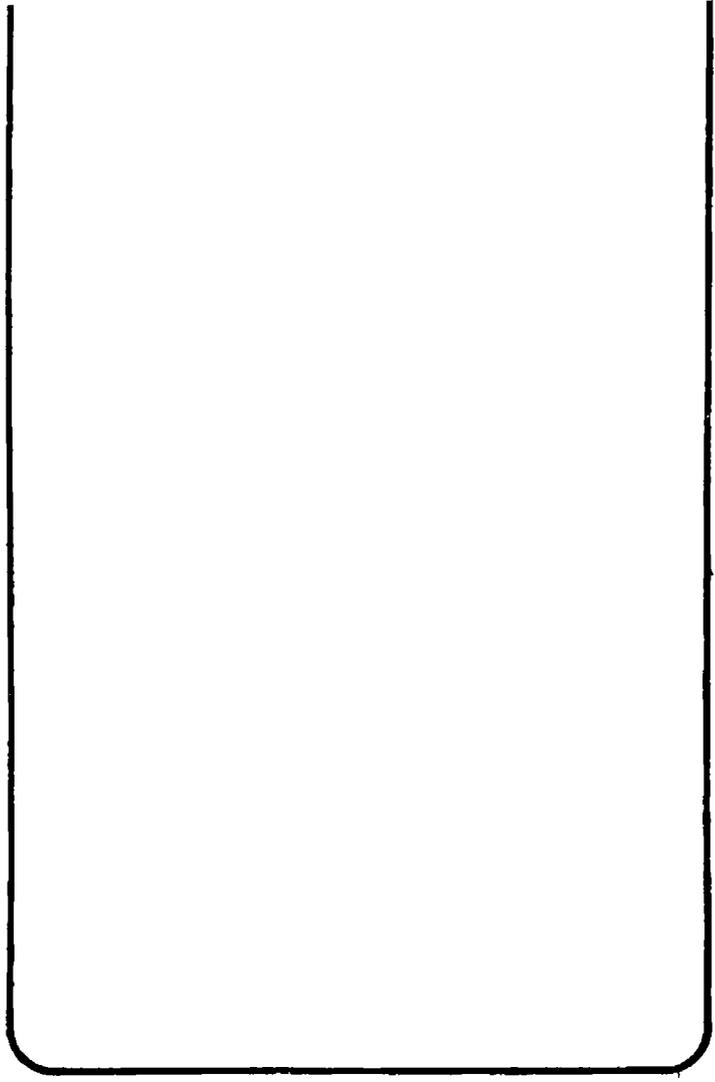
وتقوم نظرية البناء الاجتماعى فى فلسفة الدكتور أحمد زكى على العادات والتقاليد والقيم والغرائز ، وهى مكونات السلوك الإنسانى بشكل عام .. فالضمان عند أهم بكثير من القوانين ، والرقابة الذاتية أجدى من الرقابة الحكومية أو الجماعية .

ويستند في نظرتة للإصلاح الاجتماعى إلى القضاء على الفقر ، فهو المأساة التى تؤثر على الإنسانية جمعاء ، أما الحل فيكمن فى الصناعة والتصنيع .

ويرى أن المرأة هى أساس الأسرة ، وينبغى أن تكون زوجة صالحة ومربية فاضلة ، دون أن يتعارض هذا مع تعليمها وثقافتها وعملها خارج البيت .

وكم من نظرات ونظريات أخرى تضع الدكتور أحمد زكى فى طليعة الفكر العربى الحديث ، بل والعالمى أيضاً .





تيارات فكرية تتصارع في الغرب

تيارات فكرية تتصارع في الغرب

في فرنسا بالتحديد ، وعلى مدى السنوات الأخيرة أخذت تتكون في أعقاب أحداث « مايو » الشهيرة تيارات فلسفية التقت جميعاً حول ضرورة إعادة تقييم المواقف والآراء والنظريات الفلسفية التقليدية ، ورفض منطلقات « ماركس » و« تروتسكي » و« فرويد » ، وتجديد علم النفس ، وإحلال علم الأخلاق بدلاً من العلوم السياسية ، وتجنب معطيات الاقتصاد السياسي ، والثورة على طرق تدريس الفلسفة ومدرسيها ، والبحث عن صيغ لغوية وأسلوبية جديدة ، ومحاولة الربط دائماً بين التنظير والتطبيق .. وبرغم كل هذا الهدم والرفض والمنع والتقويض ، فإنهم لم يأتوا بفلسفة جديدة ، أو حتى بمنهج فكري جديد ، لأنهم غير قادرين بعد - ونرجو ألا يكون مطلقاً - على البناء .

ومع هذا اختلفوا فيما بينهم ، فتباينت آراؤهم ،
وتعارضت سبلهم ، وتعددت قضاياهم ..

وقد برز من بين هؤلاء « الفلاسفة الجدد » عشرة من
« المفكرين الصغار » بعد أن غاب عن الساحة عمالقة
الفلسفة : « سارتر » و« بشلار » و« مارسيل » و« بونتي »
وغيرهم ..

أما هؤلاء العشرة فهم : يودريار (جان) ويرى أن
الماركسية « لم تعد قادرة في العصر الحديث على تطوير
المجتمعات وتأمين احتياجاتها ، وتحقيق أحلامها وتثبيت
قيمها ، في وقت تحولت فيه هذه المجتمعات إلى طاقات
استهلاكية أكثر منها إمكانيات إنتاجية ، نتيجة للدعاية الطاغية
والموضات المتغيرة التي فرضتها الرأسمالية ضمناً لمصالحها ،
وتدعيماً لمكاسبها دون أى مراعاة للبناء الاقتصادى المعرض
للانهيار . »

وينتقد بونوا (جان - مارى) فى كتابه « مات
ماركس » التعاليم الماركسية - اللينينية ، المتعللة بنظرية حتمية
التاريخ ، كما جاء فى كتاب « رأس المال » ، والقائلة بأن
الكون مادة أبدية .. ويرى « بونوا » أن الفكر الصينى بزعامة
« ماو » ماهو إلا نتاج للفكر الماركسى ، برغم خلافه مع

المناهج والمسالك السوفيتية ، وأن كليهما في حقيقة الأمر
مصعب لمنابع الفكر الغربي ، غير القادر هو الآخر - شأنهما
معاً - على التوفيق بين ما يقال من كلمات ضخمة وشعارات
رنانة ، وما يتحقق منها على أرض الواقع ، تطبيقاً للأهداف
السامية التي تستهدف سلام الإنسان ورفاهيته ورخاءه .

أما كاستورياديس (كورنيليوس) فيرى أن خطأ ماركس
الفادح كان في تقسيمه لطبقات المجتمع الواحد ، ودفعه
للصراع الطبقي اعتقاداً خاطئاً منه - كما ثبت في العصر
الحديث - بأن تطور المجتمع يقوم دائماً على الأيدي العاملة
وتوفر الإنتاج ، متناسياً تماماً القوى الخارجية التي أسماها هو
نفسه بالطبيعة ، وتقول الأديان جميعاً والإنسان على فطرته
بأنها الله .. ومن هنا كان هذا التناقض الظاهر بين المجتمع
والتاريخ .. و« كاستورياديس » لا يعترف بالفلاسفة بدءاً
بسقراط وأفلاطون وأرسطو وانتهاء بسارتر ، وإن كان يعترف
بأهمية « نيتشه » وآرائه الفلسفية . وهو من أشد المطالبين
بتغيير طرق تدريس الفلسفة في المدارس والمعاهد والجامعات ،
ومن أكثر المتشددين ضد المدرسين والأساتذة الذين أصبحوا
عييداً للمفاهيم التقليدية التي لم تعد صالحة للعصر ، ولا لأى
من طبقاته ، بما في ذلك الطبقة البورجوازية التي ينتمون
إليها ، والتي يخدمون مصالحها منطلقين من أفكارها ومبادئها
البالية .

شاتوليه (فرنسوا) الذى صب جام ثورته هذه فى كتابه « فلسفة الأساتذة » ، وفيه يبين الفارق بين الفلسفة كمنظريات ، وتدريس الفلسفة بمعنى ذلك الاختلاف بين المفكر والفيلسوف وأستاذ الفلسفة .

ومن أشد المعجبين بنيتشه وفلسفته دولوز (جيل) مؤلف « نيتشه والفلسفة » و« رأسمالية وشيزوفرانيا » وإن حاول أن يعيد تقييم « هيوم » و« كانط » و« سبينوزا » و« بروسست » على العكس من زملائه الرافضين لكل الفلاسفة على الإطلاق ..

و« دولوز » يعترض على علوم النفس التحليلية التى تصيب الإنسان بحالة من الشيزوفرانيا أو الانفصام ، كما يستنكر كل الممنوعات التى تقف ضد رغبات الإنسان الطبيعية بدعوى الأخلاق .

ومن أهم مؤلفات ديريدا (جاك) « الصوت والظاهرة » و« شىء من علم اللغة » و« الكتابة والاختلاف » .. وهو ينادى بالثورة على لغة الفلسفة ، وخاصة الفلسفة الغربية التى تفرق بين ما هو منطوق وما هو مكتوب ، مبيناً أن كليهما ضرورى لاستقامة المعنى والمبنى ، تماماً مثل الروح والجسد فى الوجود الإنسانى .. وركز كل فلسفته على دراسة اللغة المدونة

في الفلسفة من ناحية ، والمستخدم في حياتنا اليومية من ناحية أخرى ، فهو يرى أن اللغة ظاهرة حية من ظواهر الإنسان ، والتي كانت وستظل سبباً جوهرياً في متاعبه ومشاكله على مر العصور .

ويصوب دول (جان - بول) هجوماً عنيفاً في كتابه « رغبة الثورة » على الماركسية التي سمحت لستالين بالحكم بنظام القبضة الحديدية ، كما أتاحت الفرصة لديكتاتوريات الأحزاب بالتحكم فيما أسمته الطبقة الكادحة أو العاملة .. كما أكد على أن هذا الفكر فقد صلاحيته منذ نصف قرن من الزمان ، مما يؤكد على أنه كان فكراً وليد الحاجة والظروف ، وليس فكراً إنسانياً نافعاً لكل الأجيال .. ويدعو « دول » للثورة الثقافية ، ولكن ليس على الطريقة الصينية ، مشيراً إلى الخلاص بالأدب والفن منبعى الفلسفة الإنسانية الجديدة ..

من أكثر المناهضين للحروب القديمة والحديثة ، وخاصة الهتلرية ، ومن أكثر المنددين بالقهر والظلم ، وخاصة في المعتقلات ، جلاكسمان (أندريه) الذي يبين أن الطبقات المعدمة هي أكثر الطبقات تعرضاً لاستبداد الحكم القائم على استهداف السلطة ، سواء كان نازياً أو شيوعياً أو ديكتاتورياً ، وأن هذه الطبقات غالباً ما تضيع في مقولات وقوالب وشعارات النظم السياسية المختلفة ، والتي تلقى رواجاً في

الدول الاشتراكية وتلقى معارضة في الدول الرأسمالية .

ويتفق ليوتار (جان - فرنسوا) مع « دول » في أن الخلاص في عالمنا الجديد سيتحقق عن طريق الأدب والفن .. ويرى أن الكلمة المنطوقة لكي تصلح لعصرنا لابد أن تصبح مرئية ، وهذا ما يجعله يبحث في إمكانية اللغة وقدرتها على التجسد ، كما يرى أن الفلسفة - وهي قمة الفكر والتفكير - ما هي إلا إحدى غرائز الإنسان المعنوية التي تختلف كثيراً عن غرائزه الحسية ، والتي يجب أن تنطلق بدون قيود بحجة الأخلاق ، حتى تتحرر الطبقة الكادحة فلاتجد في قيم البورجوازية والأرستقراطية قيوداً تفرض الفوارق وتقيم الفواصل بينها .

لم يكتب سوريه (ميشيل) بالاعتقاد في الأدب والفن سبيلاً للخلاص ، ولكنه أضاف إليهما العلم والمعرفة ، وهو يرى أن الفكر الجديد لابد أن يقوم على مصادره القديمة ، وأن الفواصل بين العلوم المختلفة لم تعد قائمة في عصرنا الحديث بعد أن تجمعت كل العلوم في علم كوني واحد ، يطالب بتسخيره من أجل رفاهية الإنسان وليس من أجل تدميره .. وأنه بقدر ما كانت الفلسفة ثابتة المفاهيم والمعايير ، فإن العلم الحديث متحرك حركة لا نهائية وبلا حدود .

كتب أخرى .. للمؤلف

صدرت :

- | | |
|--|-----------------------|
| مسرحة جورج شحاتة
دار المعارف ١٩٦٩ . | مهاجر بريسبان |
| مسرحة جان كوكتو
الأنجلو ١٩٦٩ | الآلة الجهنمية |
| قصص ناتالي ساروت
هيئة الكتاب ١٩٧١ | انفعالات |
| دراسات ونقد تطبيقي
هيئة الكتاب ١٩٧٣ | دقات المسرح |
| مسرحة خوذيه تريانا
هيئة الكتاب ١٩٨٠ | ليلة القتل |
| دراسة عن أهل الكهف
دار المعارف ١٩٨٠ | كهف الحكيم |
| رؤى ودراسات غربية
المركز الجامعي ١٩٨١ | شباب هذا العصر |
| رؤى ودراسات غربية
دار المعارف ١٩٨١ | صرخات فوق المسرح |
| رؤى ودراسات غربية
دار المعارف ١٩٨١ | جورنيكا .. أزمة العصر |
| دراسات ونقد تطبيقي
هيئة الكتاب ١٩٨٢ | سينا نعم .. سينا لا |

رواية هنرى باربوس	المجسم
هيئة الكتاب ١٩٨٦	
مسرحية إيف جامياك	دون كيشوت
هيئة الكتاب ١٩٨٧	
دراسات ونقد تطبيقي	نبض العصر
كتاب المواهب ١٩٨٧	
مسرحية إيميه سيزير	فصل فى الكونفو
هيئة الكتاب ١٩٨٧	
حوارات وندوات	قمم عربية وغربية
العربية للنشر ١٩٨٨	
رواية الطاهر بن جلون	ليلة القدر
الرواية العالمية ١٩٨٨	
دراسات عربية وغربية	الإنسان .. كلمة
هيئة الكتاب ١٩٨٨	
كوكتو ، سالاكرو ، يونسكو	المعقول واللامعقول
المسرح العالمى ١٩٨٩	
دراسات تشكيلية وأشعار	ألوان العصر
دار المريح ١٩٨٩	
قصص قصيرة وأشعار	اختيار
دار الشعب ١٩٨٩	
	تصدر :
مسرحية كارلو جولدوني	المضيضة الحسناء
دراسة لئاتالى ساروت	عصر الشك
عن الثورة العرابية	رسائل من مصر
بعد فوزه بجائزة نوبل	فى رحاب نجيب محفوظ

الفهرس

الصفحة

٧	تقديم
١١	الله في الفكر الغربي
١٩	الله في الفكر الإسلامي
٢٧	١ - ابن خلدون .. وفلسفة الذات (١٣٣٢ - ١٤٠٦)
٣٣	٢ - ديكارت .. وفلسفة الشك (١٥٩٦ - ١٦٥٠)
٣٩	٣ - بسكال .. وفلسفة العلم (١٦٢٣ - ١٦٦٢)
٤٥	٤ - لوك .. والفلسفة الإنسانية (١٦٣٢ - ١٧٠٤)
٥١	٥ - سبينوزا .. والفلسفة الأخلاقية (١٦٣٢ - ١٦٧٧)
٥٧	٦ - هيوم .. والفلسفة الوضعية (١٧١١ - ١٧٧٦)
٦٣	٧ - روسو .. وفلسفة العدالة (١٧١٢ - ١٧٧٨)
٦٩	٨ - سيمون .. والفلسفة الاجتماعية (١٧٦٠ - ١٨٢٥)
٧٥	٩ - هيجل .. وفلسفة الجمال (١٧٧٠ - ١٨٣١)
٨١	١٠ - شوبنهاور .. وفلسفة الإرادة (١٧٨٨ - ١٨٦٠)
٨٧	١١ - الطهطاوى .. وفلسفة الحضارة (١٨٠١ - ١٨٧٣)
٨٣	١٢ - مل .. والفلسفة النفعية (١٨٠٦ - ١٨٧٣)
٩٩	١٣ - جيمس .. وفلسفة الحياة (١٨٤٢ - ١٩١٠)
١٠٥	١٤ - نيتشه .. وفلسفة القوة (١٨٤٤ - ١٩٠٠)

الصفحة

- ١٥ - محمد عبده .. وفلسفة الهداية (١٨٤٥ - ١٩٠٥) ١١١
- ١٦ - الكواكبي .. وفلسفة الإصلاح (١٨٤٨ - ١٩٠٢) ١١٧
- ١٧ - برجسون .. وفلسفة الحرية (١٨٥٩ - ١٩٤١) ١٢٣
- ١٨ - طاغور .. وفلسفة الحب (١٨٦١ - ١٩٤١) ١٢٩
- ١٩ - قاسم أمين .. وفلسفة القانون (١٨٦٣ - ١٩٠٨) ١٣٥
- ٢٠ - راسل .. وفلسفة السلام (١٨٧٢ - ١٩٧٠) ١٤١
- ٢١ - إقبال .. والفلسفة الصوفية (١٨٧٣ - ١٩٣٨) ١٤٧
- ٢٢ - لورانس .. وفلسفة الفن (١٨٨٥ - ١٩٣٠) ١٥٣
- ٢٣ - أحمد أمين .. وفلسفة التراث (١٨٨٦ - ١٩٥٤) ١٥٩
- ٢٤ - هيكل .. وفلسفة التجديد (١٨٨٨ - ١٩٥٦) ١٦٥
- ٢٥ - العقاد ... وفلسفة الإسلام (١٨٨٩ - ١٩٦٤) ١٧١
- ٢٦ - توينبي .. وفلسفة التاريخ (١٨٨٩ - ١٩٧٥) ١٧٧
- ٢٧ - طه حسين .. وفلسفة المنهج (١٨٨٩ - ١٩٧٣) ١٨٣
- ٢٨ - الحكيم .. والفلسفة التعاقدية (١٨٩٨ - ١٩٨٧) ١٩١
- ٢٩ - آرون .. وفلسفة التحرر (١٩٠٥ - ١٩٨٣) ١٩٩
- ٣٠ - أحمد زكى .. وفلسفة الوحدة (١٨٩٤ - ١٩٧٥) ٢٠٥
- ٢١٣ تيارات فكرية .. تتصارع في الغرب
- ٢١٩ كتب أخرى .. للمؤلف

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://www.facebook.com/books4all.net>

رقم الإيداع ٢٢٥٤ لسنة ١٩٨٩

